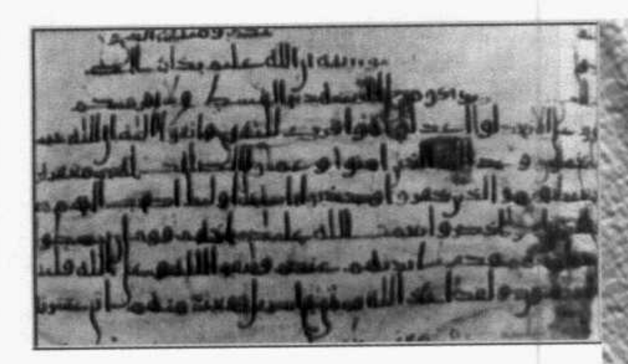


عصر الخلفاء الراشدين
(الحياة السياسية والحضارية)



تأليف
أ.د. عطية القوصى
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com



صفحة من القرآن من عهد النبى ﷺ

موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

الإشراف الفنى
محيى الدين فتحى الشلودى

التصميم والإخراج على الكمبيوتر
ثريا إبراهيم حسين

٩٥٦,٠٣ عطية القوصى.
ع ط ع ص عصر الخلفاء الراشدين (الحياة السياسية والحضارية)/ تأليف عطية القوصى. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٧.
٦٨ ص: صور؛ ٢٤ سم. - (موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية. التاريخ الإسلامى؛ ٥).
ببليوجرافية: ص ٦٧.
تدمك: ٥ - ٢٠٩٣ - ١٠ - ٩٧٧.
١ - أبو بكر الصديق. ٢ - عمر بن الخطاب.
٣ - عثمان بن عفان. ٤ - على بن أبى طالب.
أ - العنوان. ب - السلسلة.

رقم الإيداع: ٧٨٣٥ / ٢٠٠٦

دار الفكر العربى

تنفيذ وطباعة الكتاب: مطبعة البردى بالعاشر من رمضان

جميع المراسلات والاتصالات على العنوان التالى:

دار الفكر العربى

موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم السلسلة

التاريخ علم من أجَلِّ العلوم الإنسانية وأعلاها قدرا وأكثرها فائدة. ويتطلب علم التاريخ فيمن يمارسه التحلى بأمانة الحكم وصدق الكلمة وبُعْد النظر والقدرة على الإفادة من دروس الماضى لمواجهة صعاب الحاضر والاستعداد لما قد يتفتق عنه المستقبل من أخطار وعقبات.

إن الروايات التاريخية قد تتشابه فى بعض أجزائها على مدى الدهور، ولكن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه، بمعنى أن تتطابق أحداثه مع بعد المسافة بين حدث وآخر. فالإنسان هو الإنسان بكيانه الجسدى ومشاعره النفسية وتطلعاته وطموحاته.. على مر العصور، ولكن الظروف المحيطة به تتغير وتتبدل من عصر لآخر. وغالبا ما يتخذ هذا التغيير مواقف جديدة أو مسيرة مختلفة تسهم فى تحويل نظرة الناس إلى الحياة. وبدراسة التاريخ يمكن الوقوف على ما مر به الإنسان من تجارب وما يمكن أن يكون قد وقع فيه من أخطاء، وكيف يتجنبها فى الحاضر والمستقبل. وهذا ما عبَّر عنه بعض الحكماء بقوله: «من وعى التاريخ فى صدره، أضاف عمرا إلى عمره».

وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الهيئات الثقافية، فجعلوا للتاريخ حقه من الاهتمام والرعاية، وحرصوا على رعاية جمعه وحصاده وأحلوه فى مكانه اللائق.

وتأتى مؤسسة **دار الفكر العربى** التى أسسها الأستاذ/ **محمد محمود الخضرى**، التى تنهض بدور ملموس فى مجال خدمة الثقافة العربية. والتى وضعت مشروعا للثقافة التاريخية، واستعانت فى التخطيط لهذا المشروع بعدد من صفوة أساتذة التاريخ المتخصصين داخل الجامعات العربية وخارجها. كما وفرت الدار لهذه السلسلة الإخراج الفنى والتصميمات، وكذلك المراجعة اللغوية لخروج هذه السلسلة بالصورة التى تجدونها أمامكم.

وإن أسرة الدراسات التاريخية ليسعدها أن تقدم هذا الكتاب الذى يصدر عن **دار الفكر العربى** ضمن هذه السلسلة، سائلين لها دوام التوفيق فى خدمة الرسالة والنهوض بالأمانة.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور



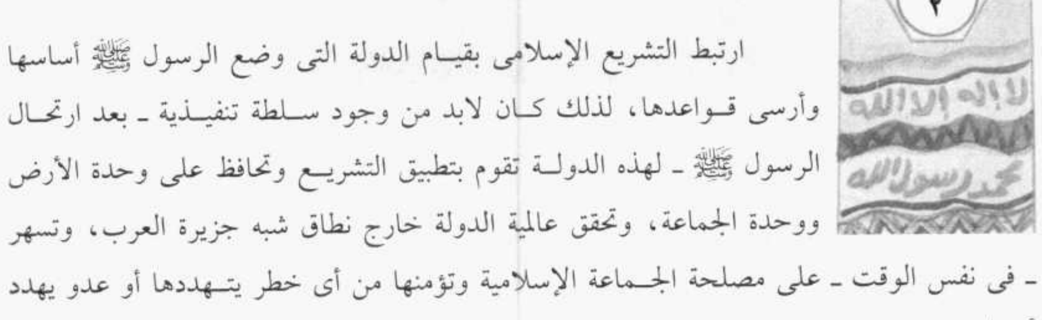
الخلفاء الراشدون، هم حكام الدولة الإسلامية عند بدايتها، وهم الذين خلفوا رسول الله ﷺ فى حكم المسلمين وقيادة دولة الإسلام وإقرار نظامها السياسى، والعمل على توسعتها، التوسعة التى شملت ـ فى آخر دولتهم ـ معظم العالم المعمور آنذاك.

وكان المسلمون قد واجهوا بعد وفاة رسول الله ﷺ محمد ﷺ، مشكلة نظام الحكم وكيفية إدارة أمر الدولة التى وضع هو أساس لبناتها وأعلن القضاء على الوثنية وإعلاء كلمة الوحدانية ورفع لواء العدل والحرية والإخاء والمساواة وأضاء بتعاليمه وهديه وبما نزل عليه من وحى طريق البشرية من الظلام إلى النور، وحررهم من أغلال العبودية ورسم لهم طريق النجاة فى الحياتين: الدنيا والآخرة.

ولقد فوجئ المسلمون بوفاة الرسول ﷺ، رغم إيمانهم بأنه بشر وإيمانهم بحتمية الموت على كل البشر، وأن البقاء والخلود لله وحده، الواحد القهار، إلا أن وقوع الموت المفاجئ على نبيهم وحبيبهم ومنقذهم وحاديهم أوقعهم فى حيرة وبلبلة دلت على أنهم تناسوا وقوع هذا الأمر على خير خلق الله وأكرم رسله، وأنهم استبعدوا عن أذهانهم وقوعه عليه فباتوا يتخبطون فى أمرهم وتساءلوا عن كيفية سير سفينة الإسلام دون ربان. وجاءت هذه المشكلة من أن الرسول ﷺ ارتحل عنهم دون أن يوصى بالنص لأحد بعده بالحكم، كما أنه لم يخلّف وراءه ابنا يرث حكمه للمسلمين وقيادة الدولة الإسلامية من بعده. كذلك فإن آيات القرآن الكريم لم تشر لهذا الأمر، وكأن الله ورسوله قد تركا الأمر للمسلمين، فى أول تجربة لهم لحكم أنفسهم، أن يختاروا من نظم الحكم القائمة آنذاك فى العالم المجاور ما يلائم معيشتهم وظروفهم ويتماشى مع تطور حياتهم ولا يتنافى مع تعاليم الدين الجديد.

المؤلف





ارتبط التشريع الإسلامى بقيام الدولة التى وضع الرسول ﷺ أساسها وأرسى قواعدها، لذلك كان لابد من وجود سلطة تنفيذية - بعد ارتحال الرسول ﷺ - لهذه الدولة تقوم بتطبيق التشريع وتحافظ على وحدة الأرض ووحدة الجماعة، وتحقق عالمية الدولة خارج نطاق شبه جزيرة العرب، وتسهر - فى نفس الوقت - على مصلحة الجماعة الإسلامية وتؤمنها من أى خطر يتهددها أو عدو يهدد أمنها.

وقد عُرف النظام الذى تمثل فى الطريقة التى هدى الله المسلمين إليها لاختيار شخص من يخلف الرسول ﷺ فى حكمهم وفى تسيير أمور دولتهم باسم نظام الخلافة.

على أن هذا النظام الخلافى لم ينشأ من فراغ، فلقد خطط له رسول الله ﷺ عند إقامته الدولة تطبيقا لما نزل عليه من وحى، واجتهادا من عنده وبمشورة أصحابه فيما لم ينزل فيه كتاب ولا وحى، طوال العشر سنوات التى قاد فيها مسيرتها بعد هجرته إلى المدينة المنورة. وقد تمثلت أسس قيام هذه الدولة فى مبدأين هامين من مبادئ التشريع الإسلامى، وهما: مبدأ الشورى فى الحكم بالنسبة للحاكم، ومبدأ الطاعة لله وللرسول بالنسبة للرعية، وقد أشار إليهما خالق هذا الكون فى كتابه الكريم فى قوله تعالى: ﴿ ... **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران]، كذلك فى قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ... ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء].

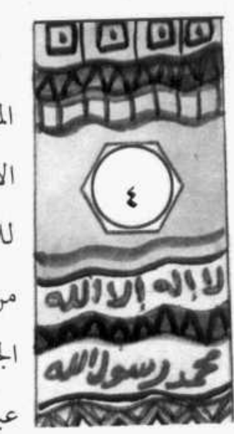
وقد رسخ الرسول ﷺ هذين المبدأين عمليا، فأصبح الحكم فى الإسلام بمثابة عقد أو عهد، وهو ما عرف عند المسلمين باسم «البيعة»، وهى بيعة بين الراعى والرعية، يلتزم الطرفان فيها بحدود التشريع الإسلامى. وقد طبق رسول الله ﷺ نظام الشورى فى الحكم، وظهر فى عهده أهل الشورى، وكانوا من كبار صحابته، واستبعد النظام الوراثى فى اختيار قيادات حكومته، وقد كان النظام الوراثى فى الحكم معروفا للعرب بسبب اتصالاتهم بممالك الفرس والروم، وممالك اليمن القديمة، وملوك الغساسنة والمناذرة على حدود الشام والعراق.

٣

وما حدث فى اجتماع سقيفة بنى ساعدة بالمدينة، بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة، وحُسم فيه اختيار أول خليفة لدولة الإسلام الناشئة، يؤيد رسوخ مبادئ ومفاهيم الشورى فى الحكم عند المسلمين. وقد برز فى اجتماع السقيفة هذا مبدأ آخر فى الحكم، وهو ضرورة أن يكون خليفة رسول الله ﷺ من قريش، وذلك من خلال المناقشات التى وقعت بها، والتى استطاعت أن تتخطى حاجز العصبية القبلية عند القبائل بين المهاجرين والأنصار. وقد اعتمد إقرار هذا المبدأ على إقرار أهل السقيفة بما للمهاجرين من فضل وسابقة على الأنصار فى نصرة الدعوة الإسلامية وتحمل مشاق نصرتها. وبذلك نجد أن المبادئ التى قام عليها نظام الخلافة وأقرها اجتماع السقيفة هى: اقتصار اختيار الخليفة على القرشيين دون سائر رجال القبائل، وأن يكون المختار من أهل الشورى، وأن يكون أهل الشورى، الذين يساعدون الخليفة فى الحكم من كبار الصحابة، وأن يتم اختيار الخليفة بالانتخاب الحر، وأن تؤخذ للخليفة الذى وقع الإجماع عليه، البيعة العامة من عموم المسلمين. وقد كان على الخليفة المنتخب الالتزام بما فى كتاب الله وما جاء فى سنة رسوله، وعلى الرعية التى بايعت السمع والطاعة ما دام الخليفة قائما بهذا الالتزام.

ولتفصيل ما وقع فى سقيفة بنى ساعدة، نقول: إنه لما وصل إلى الأنصار نعى رسول الله ﷺ لهم، سارعوا إلى التفكير فى شخص من يخلفه فى تدبير أمورهم وقيادة مسيرتهم، فاجتمعوا فى سقيفة لبنى ساعدة، كان الأنصار يجتمعون فيها للنظر فى أمورهم المهمة، وكان المهاجرون وقتذاك مشغولين بتجهيز دفن الرسول ﷺ. ولمّا كانوا يرون أن الأمر لهم لأن حاضرة الدولة مدينتهم المنورة، وأن رسول الله ﷺ مات بينهم، وأنهم أنصار الله وكتيبة الإسلام، رشحوا للرياسة شيخا منهم من سادة الخزرج هو «سعد بن عبادة»، ودعوه ليتحدث باسمهم وليبين موافقته على اختيارهم له رئيسا لدولة الإسلام وخليفة لرسول الله ﷺ فى حكم المسلمين ودولتهم. وامتثل سعد لطلبهم وقام فيهم خطيبا وبين فى خطبته هذه فضل الأنصار على دولة الإسلام الناشئة، وسبقهم فى نصرة الله ورسوله واستجابتهم لدعوته وقت أن أعرض الجميع عنه.

غير أن الأوس لم يكونوا راضين بما يجرى وامتعضوا لهذا الاختيار وخافوا أن تؤدى رياسة سعد للمسلمين إلى سيادة الخزرج عليهم وإلى عودة الصراع القديم الذى كان قائما فى يثرب قبل الإسلام بين الأوس والخزرج والحرب بينهما.



ولقد وصل خبر اجتماع السقيفة إلى كبار رجال الصحابة من المهاجرين، فسارع ثلاثة منهم إلى هذا الاجتماع حتى يشاركوا فى حسم هذا الأمر الخطير الذى يتوقف عليه مستقبل أمة الإسلام، وحتى لا يتيحوا الفرصة للأنصار للتصرف بمفردهم فى أمر الخلافة الهام دون أن يكون للمهاجرين فيه من رأى. وكان الثلاثة هم: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح. ولما وصل الثلاثة وتبينوا ما انتهى إليه الخزرج من اختيار سعد بن عبادة للخلافة، نهض فى المجتمعين أبو بكر، وألقى أول خطبة له فى جموع الأنصار، وبين فى هذه الخطبة فضل المهاجرين عن الأنصار فى القيام بأمر الدعوة ونصرتها، وبيَّن كذلك سابقة المهاجرين فى كتاب الله، وبين كذلك أن المهاجرين هم أهل رسول الله ﷺ وعشيرته وهم الذين تحملوا معه عنت الكفار والمشركين فى مكة من قريش وغيرها من القبائل، وهم الذين هاجروا معه وتركوا ديارهم وأبناءهم وأموالهم، وأن منهم قريشا قبيلة رسول الله ﷺ وعشيرته. كذلك اعترف بالفضل للأنصار، لكنه أبان بأنه فضل يلى فضل المهاجرين فى المكانة والسابقة. وقصد أبو بكر، فى خطبته، أن تكون إمارة الدولة للمهاجرين ووزارتها للأنصار، وذلك بقوله لهم، ضمن ما قال: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وإن رسول الله ﷺ قال الأئمة من قريش، وقال: أوصيكم بالأنصار خيرا: أن تقبلوا محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم. وإن الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين، وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا: مصداقا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

ولم يتقبل جميع الأنصار قول أبى بكر، فقام «الحباب بن المنذر» خطيبا فى المجتمعين يدافع عن حق الأنصار فى الحكم، ويطلب من الأوس والخزرج الاتفاق على اختيار رجل منهم أوسيا كان أو خزرجيا، وطالبهم بعدم الاختلاف والتفريط فى هذا الأمر حتى لا يقع لأحد غيرهم. كما أشار ابن المنذر، فى ختام خطابه، بإمكانية أن يتقاسم المهاجرون والأنصار الحكم، بقوله: «وليكن منا أمير ومنكم أمير».

ولما تحرج الموقف فى السقيفة بين المهاجرين والأنصار، قام أبو عبيدة بن الجراح فى المجتمعين خطيبا موجها حديثه إلى الأنصار ملاطفا لهم بقوله أنهم أول من آمن ونصر فلا يكونوا أول من غَيَّر وبَدَّل.



وفوجئ المجتمعون بقيام «بشير بن سعد»، زعيم الأوس، خطيبا مؤيدا حق المهاجرين فى الخلافة دون الأنصار، وقد كان لخطابه وقع بالغ فى النفوس. فانبرى عمر بن الخطاب وأبو عبيدة يعلنان مبايعتهما لأبى بكر بالخلافة، ثم تقدم، بعدهما، بشير بن سعد زعيم الأوس، وبايع أبا بكر، وبايعه من بعده رجال الأوس، فاضطرت الخزرج لمبايعة أبى بكر حفاظا على وحدة كلمة المسلمين، عدا سعد بن عبادة الذى لم يبايع وخرج من الاجتماع ناقما على ما وقع فيه. وقد عرفت هذه البيعة التى تمت لأبى بكر فى سقيفة بنى ساعدة باسم: البيعة الخاصة، ثم أخذت له، بعد ذلك، فى مسجد الرسول ﷺ البيعة العامة، بعد أن قام أبو بكر فى الناس خطيبا وصلى بهم. وقد بيّن أبو بكر فى خطبته هذه الخطة التى سوف يسير عليها والالتزام الذى وجب على الحاكم المسلم أن يلتزمه مع نفسه ومع الرعية بقوله:

«أيُها الناس إنى وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فقومونى، ألا إن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه، وأقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له، الصدق أمانة والكذب خيانة، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم».

هذا، وقد كان عدد الخلفاء الراشدين أربعة خلفاء، جاء ترتيب وسنوات حكمهم كالتالى:

١ ـ أبو بكر الصديق، عبد الله عتيق بن أبى قحافة (١٢ ربيع الأول ١١ هجرية).

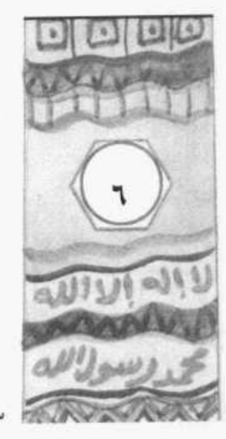
٢ ـ عمر الفاروق، بن الخطاب (٢٢ جمادى الآخرة ١٣ هجرية).

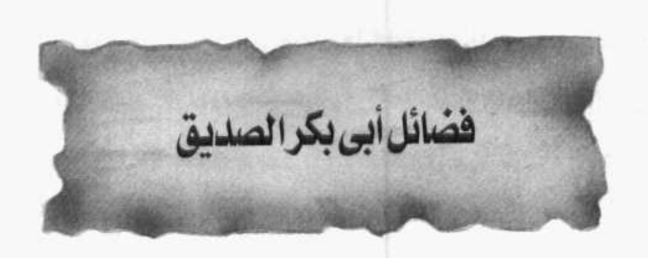
٣ ـ عثمان بن عفان، ذو النورين (٢٩ ذى الحجة ٢٣ هجرية).

٢ ـ على بن أبى طالب، المرتضى (١٧ ذى الحجة ٣٥ هجرية).

هذا، وقد انتهى عهد حكم هؤلاء الخلفاء الراشدين سنة ٤١هجرية، بقيام حكم الدولة الأموية التى أسسها الخليفة معاوية بن أبى سفيان فى هذا العام ولتستمر فى حكم دولة الإسلام حتى سنة ١٣٢ هجرية.

وبذلك تكون مدة خلافة الراشدين قد استغرقت ثلاثين عاما.





كان اسمه، رضـى الله عنه، عبد الله، وقيل عبد الكعـبة، فلما أسلم سماه النبى ﷺ عـبد الله. وقيل: إن أمه أسـمته «عتيـقا» لعتاقـة وجهه، أى جماله، والعتق هو الجمال.

وقيل: إن أمه كانت لا يـعيش لها ولد فلما ولدته استقـبلت به البيت ثم قالت: «اللهم إن هذا عتيقك من الموت فـهبه لى» فعاش فسـمته عتيقا، وكـان يعرف به. وقيل: إن رسول الله ﷺ سماه عتيقا بقوله له: «أنت عتيق الله من النار». ولقد اختلف فى تسميته بالصديق، وقد قيل: إن ذلك كان لقبا قد غلب عليه فى الجاهلية، وقيل سمى صديقا لتصديقه النبى ﷺ فى خبر الإسراء، وقيل أيضا لمبادرته إلى تصديق الرسول ﷺ فى كل ما جاء به عموما.

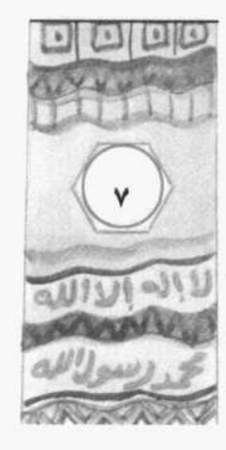
وكان أبو بكر، حسب وصف ابنته السيدة عائشة لـه، أبيض نحيفًا خفيف العارضين، ناتئ الجبهة، غائر العينين، يميل جسده إلى الانحناء.

وأبو بكر هو أول من آمن بدعوة رسول الله ﷺ وصدقه، وأول من أسلم من الرجال. وقد قالت ابنته عن إسلامه: «خرج أبو بكر يريد النبى ﷺ وكان صـديقا له فى الجاهلية فلقيه، فقال: يا أبا القاسم فقدت من مـجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأديانهـا، فقال رسول الله ﷺ: إنى رسول الله ﷺ أدعوك إلى الله عز وجل».

فلما فرغ رسـول الله ﷺ أسلم أبو بكر وما بين الأخشـبين (جبلان بمكة) أكـثر منه سرورا بإسلام أبى بكر. وقد قال عن مبادرته هذه: «ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت منه كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة ما انتظر عنه حين ذكرته له وما تردد فيه».

قال ابن إسحاق، فى إسلام أبى بكر وذكر من أسلم على يديه:

«ولما أسلم أبو بكر أظهر إسـلامه ودعا إلى الله ورسوله، وكـان رجلا مؤلفا لـقومه محـببا سهلا، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروفـا، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونـه لغير واحد من الأمر لعلمـه وتجارته وحسن مجالسـته، فجعل يدعو إلى الإسلام مـن وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليـه فأسلم بدعائه



فيمن بلغنى: عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد ابن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام وصدقوا رسول الله ﷺ يعنى: عليا وزيدا وأبا بكر ومن أسلم على يديه».

وكان أبوبكر يدفع المشركين عن إيذاء رسول الله ﷺ، ومن ذلك أنه جاء مرة عند الكعبة ورسول الله ﷺ يصلى فرأى عقبة بن أبى معيط يتقدم نحو الرسول ﷺ ويضع رداءه فى عنقه ويخنقه به خنقا شديدا فيسرع أبو بكر إليه ويدفعه عنه ويخلصه منه ويقول له:

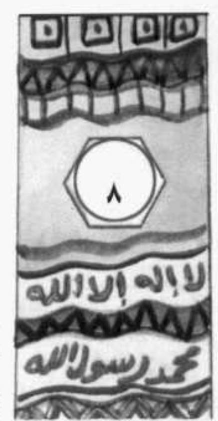
«أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟».

ومن خصائص أبى بكر مصاحبته لرسول الله ﷺ ومؤانسته له فى الغار أثناء الهجرة إلى المدينة، وسبقه بعد رسول الله فى دخول الجنة، وتخصيص الرسول ﷺ له بالأخوة، فى قوله ﷺ: «**لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخى وصاحبى**». واختصاصه بنفع ماله للنبى بقوله: «**ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر**».

وخاصيته بإنفاق أربعين ألف دينار على رسول الله ﷺ وفى سبيل الله. واختصاصه بإعتاق سبعة ممن كانوا يعذبون فى الله منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة. وباختصاصه بأنه كان أشجع الناس فى القتال وبخاصة يومى بدر وأحد. ومن خصائصه أيضا شدة بأسه وثبات قلبه لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ. وأيضا اختصاصه بالفتوى بين يدى رسول الله ﷺ وإمضاء النبى لفتياه.

واختصاصه أيضا بأنه أول من جمع القرآن، وتقديم النبى إياه أميرا على الحج فى حياته، والتقديم إماما فى الصلاة حين غاب النبى فى بعض شئونه وفى مرضه الأخير. وصفوة القول أن أبا بكر قاسم الرسول ﷺ مر العيش وحلوه وآلام الحياة وما فيها من نصر وظفر وبقى معه لا ينفك عنه كظله.

ومن فضائل أبى بكر شهوده بدرا والحديبية مع رسول الله ﷺ، ومؤانسته للرسول فى الغار وبقتال أهل الردة، وحضوره كل مشاهد رسول الله ﷺ وثباته يوم أحد يوم أن انهزم الناس، ودفع الرسول ﷺ إليه رايته العظمى يوم تبوك وتنزهه عن شرب المسكر فى الجاهلية والإسلام، وعدم سجوده لصنم قط. وأنه كانت له فراسة وعلم بالقراءة والكتابة وأنساب العرب. وكان زاهدا رقيق القلب ورعا كثير البكاء فى الصلاة من خشية الله، متواضعا، غيورا على الدين، قويا فى الحق. ومن فضائله أيضا جمع القرآن، بعد معركة اليمامة واستشهاد أعداد كبيرة من حفظة القرآن، فعهد بذلك إلى زيد بن ثابت الذى قام بجمعه وظل عند الصديق حتى وفاته.





ولقد انعقــد إجماع المسلمين على بيعة أبى بكر بالخــلافة، بسبب علو مكانته فــى الإسلام، وسبــقه إليه وصــحبتــه لرسول الله ﷺ طوال حــياته، ومناصرته وملازمته له، وإخلاصه له وصحبته له فى هجرته إلى المدينة وإنابته فى الحج بالمسلمين فى العام التاسع للهجــرة، وإصراره على نيابته فى الصلاة بالمسلمين، دون غيره من الصــحابة، فى مرضه الأخير. وقد يكون ذلك إيحــاءً للمسلمين باتخاذه خليفة له، مع عدم ارتقاء هذا التخصيص إلى مرتبة النص والتعيين إلا أن هذه الخصوصية تعد من أبلغ الدلائل على ما كــان لأبى بكر من خصوصــية عند رسول الله ﷺ ومن مكانة لم يرق إليــها أحد غيره، وقد تســمح هذه المكانة له بصدارة الجماعة الإسلامية وخــلافته فى حكم دولة الإسلام من بعده.

ولقد اخــتلفت الروايات فى موقف على بن أبى طالب من بيعــة أبى بكر بالخلافة، فيــقول كتاب الشــيعة ومؤرخوهم أن عليا تخلف، عن عــمد، عن مبايعة أبى بكر وأنه لم يبــايعه إلا بعد انقضاء ستة أشهر على خلافته، وذلك احتجاجا على ما وقع فى السقيفة من غبنه لحقه فى الخلافة دون أبى بكر. ويرى هؤلاء الكتــاب أن عليا كان أحق بــالخلافة من أبى بكر لســبقــه فى الإسلام ولدوره قبل الهجرة وبعــدها ولملازمته الرسول ﷺ فى كل حروبه ومعاركــه، ولقرابته من الرسول ﷺ وتربية الرسول ﷺ له وتزويجه من ابنته فاطمــة، أحب بناته إلى قلبه، وإنجابه لأحفاد رسول الله ﷺ. بينما تقول رواية كتاب أهل السنة ومؤرخيهم أن سبب تأخر على عن اجتماع السقيفة هو انشغــاله بتجهــيز رسول الله ﷺ ودفنه، وســبب تأخره بعد ذلــك انشغاله بجــمع القرآن، ويروى محمــد بن سيرين رواية مــفادها قال: «لما بويع أبو بكر أبطأ على فى بيــعته وجلس فى بيتــه، قال فبعث إليه أبو بكر ما أبطأ بك عنى أكرهت إمارتى؟ قال على: ما كرهت إمارتك ولكنى آليت ألا أرتدى ردائى إلا إلى صلاة حتى أجمع القرآن».، ثم خرج فبايعه.

وهنالك رواية أخرى تقول بأن عليا ظل ممــتنعا عن مبايعة أبى بكر بالخلافة مدة ســتة شهور بعد بيــعة الناس له، وذلك بعد أن تــوفيت السيــدة فاطمة بنت الرســول ﷺ، وزوج على، وقد كانت غاضبة من أبى بكر لمنع إعطائهــا حقها فى ميراث أبيها فى فدك وبنى النضيــر وخيبر، عملا بحديث ثبت عــن رسول الله ﷺ مفــاده قوله ﷺ: «نحن معــشر الأنبيــاء لا نورث كل ما نتــركه صدقة». ولما ماتت لم يجد مفرا من البيعة لأبى بكر احتراما لغضب زوجته.

ولقد أورد «الطبرى» هذه الرواية، ونلاحظ أن صيغة خبر الطبرى تجعل مسألة الميراث سببا لامتناع على وبنى هاشم عن مبايعة أبى بكر. لكن مطالبتهم أبا بكر بالميراث تقتضى أن تكون بعد الاعتراف بخلافته، وفى هذا من التناقض ما يجعل القصة مصطنعة وإن كان لها أصل ما. فكل ما يمكن أن يكون هو أنهم بعد مبايعتهم لأبى بكر طالبوا بما اجتهدوا أنه ميراثهم من النبى ﷺ فأورد أبو بكر عليهم حديث رسول الله ﷺ بصدد ميراث الأنبياء الذى سمعه عن رسول الله ﷺ، وانتهى الأمر عند هذا الحد.

ويكون ما عدا ذلك من قول من زيادات الشيعة وتأليفهم، لأنه لا يمكن أن يكون علىّ وفاطمة وبنو هاشم لم يصدقوا أبا بكر فى الحديث الذى رواه، كما لا يمكن أن يكونوا قد كابروا وأصروا على المطالبة بالميراث بعد سماعهم لحديث رسول الله ﷺ. ومن الغريب أن أعداء الإسلام الذين يحملون على أبى بكر منع فاطمة من إرثها فى فدك وخيبر قد نسوا أن عليا نفسه، لما تولى الخلافة، لم يعط أحدا ورث فاطمة ولا لأحد من بنى هاشم ما تركه رسول الله ﷺ من ميراث عملا بحديث رسول الله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء لا نورث...». وإذا كان أبو بكر منع ذلك عن فاطمة فيكون من الأولى أن منع عن ابنته عائشة، زوج رسول الله ﷺ، المشاركة فى الميراث، وهذا ما حدث بالفعل. وعموما فإن أكثر الروايات التى قيلت فى هذا الصدد، أن عليا سارع إلى بيعة أبى بكر وأنه كان معاونا له فى شئون الخلافة، وأنه كان يعرف فضله ومن أقرب الناس إليه. وقد ورد أن عليا لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف أبى بكر، وأنه خرج معه إلى «ذى القصة» لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال أهل الردة.

وكان أبو بكر خير رجل يواجه الموقف الذى أصبح فيه المسلمون بجزيرة العرب بعد وفاة الرسول ﷺ، ويواجه الأحداث الشداد التى وقعت فى الدولة الإسلامية وهى لا تزال فى فترة النشوء والتكوين. ففضلا عن شدة إيمانه بدعوته وصلابة عوده فى الإسلام وتشربه بأخلاق رسول الله وعمله بسنته، فإنه امتاز بالبراعة السياسية والفكر السديد وبُعد النظر، وبفضل هذه الصفات استطاع أن يتصدى لرياح التغيير العاتية التى هبت على الدولة الناشئة تريد أن تقتلعها من جذورها، ونجح فى مجابهة أكبر أزمة تعرض لها الإسلام فى بداية تكوينه وهى أزمة الردة والمتنبئين، واستطاع بشجاعته وقوة نزاله أن يخمد نيران هذه الردة المتأججة ويحولها إلى تراب ورماد.

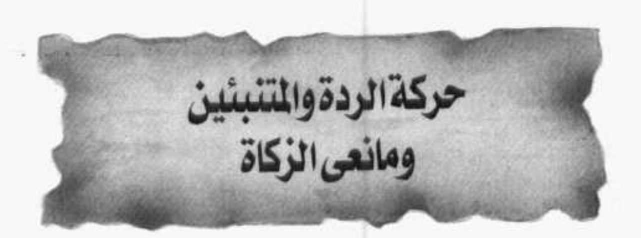
ومن أهم الأعمال التى تنسب إلى الصديق فى أمر دولة الخلافة:

أ ـ محاولة إقراره النظام السياسى فى الدولة والقضاء على حركة الردة والمتنبئين ومانعى الزكاة.



ب - توسيع حدود الدولة خارج نطاق شبه الجزيرة العربية، فيما عرف فى التاريخ بحركة الفتوح العربية ونشر الإسلام.

جـ - تخطى أمر الصراع على الخلافة بالمشورة فى ترشيح عمر بن الخطاب خليفة من بعده.

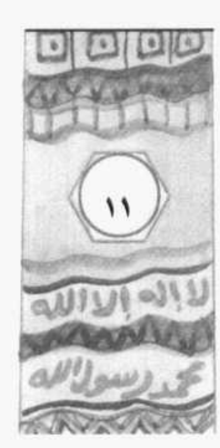


حركة الردة والمتنبئين ومانعى الزكاة

ظهر فى العام العاشر من الهجرة، فترة مرض الرسول ﷺ الأخير، بعض الخارجين عن الدعوة وعن الدولة العربية الإسلامية من رجال القبائل العربية، وادعى بعضهم النبوة تشبها برسول الله ﷺ . ومن هؤلاء: الأسود العنسى فى اليمن، ومسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة باليمامة، وطليحة بن خويلد فى بنى أسد بمنطقة نجد، وسجاح التميمية فى بنى تميم بنجد أيضا. كذلك انتقض على الدولة العربية الإسلامية عدد كبير من القبائل العربية، عقب وفاة الرسول ﷺ، ممن لم يكن الإسلام قد استقر فى قلوبهم بعد، وممن لم يتذوقوا حلاوة الإيمان، وأعلنت تمردها وخروجها على الدولة مستندة على حجج عديدة واهية، وقد عرف هذا الخروج بجميع أشكاله باسم حركة الردة.

ويتضح لنا من واقع دراسة المجتمع الإسلامى، مع بداية تكوين الدولة الإسلامية، أنه كانت هناك قبائل عربية قد دخلت الإسلام طائعة مختارة مؤمنة إيمانا كاملا بهذا الدين وبتعاليمه السمحة، فإن هناك قبائل أخرى قد انضوت تحت لواء الدولة الجديدة تحت ظروف متعددة ولأهداف مادية مصلحية خاصة بها، حتى أنها ما كادت تسمع عن مرض الرسول ﷺ وتتيقن من ارتحاله إلى الرفيق الأعلى حتى تحلل بعضها من بيعته وخرجت على الدولة الإسلامية وأعلنت تمردها. ولقد زاد انتشار هذه الحركة على أثر النزاع الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة بين المهاجرين والأنصار حول مسألة الخلافة.

ولقد اتخذت حركة الردة أشكالا مختلفة تبعا للعوامل وللظروف التى تأثرت بها، فبدأت بحركات التنبؤ، التى ارتكزت أساسا على عصبية القبائل العربية. وقد ظهر جميع من ادعوا النبوة فى العام الأخير من حياة الرسول ﷺ. فظهر «الأسود العنسى» فى اليمن، وتبعت دعوته بعض

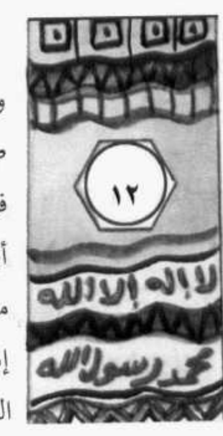


قبائل اليـمن وأهل مدنها وبخاصـة قبيلة مذحج. وأعلن «طلحـة بن خويلد» نفسه نبيـا فى بنى أسد بنجد، فانضمت قـبيلته بنو أسد إليه ومعـهم كثير من حلفائهم من غطفان. وفى اليمامة، ادعى مـسيلمة بن حبيب الحنفى النبوة فى قبيلته بنى حنيـفة، وقد تطاول مسيلمة فى دعواه بـأن أرسل للنبى كتابا يدعوه فيـه مقاسمـة النبوة معه، كـذلك ادعى بأن له قرآنا مثل قـرآن محمد، فنعـته الرسول ﷺ لذلك بالكذب فعرف من وقتها بمسيلمة الكذاب. كما ادعت امرأة من بنى تميم بنجـد تدعى سجاح النبـوة، وقامت بالاتصال بمسـيلمة وتزوجت منه، وشكلا حركة واحدة فى ادعائهما النبوة.

ولقد تجمعت معظم هذه القبائل التى ادعى رجـالها النبوة فيهم خارج الحجاز، وبالذات فى منطقة نجد وبلاد اليمن؛ ذلك لأن العصبيـة القبلية التى نجح الإسلام، بشكل ملحوظ، فى القضاء عليها فى الحجاز، لم يسـتطع القضاء عليها خارج الحجاز فى بقية أنحـاء شبه الجزيرة. وقد ظلت هذه العصبية تسيطر عليهم بأفكارها وتقاليدها. فلما أعلن هؤلاء المتنبئون نبوتهم، وجدت طريقها إلى قلوبهم رغبـة فى انتزاع السيـادة من قريش والحجـاز، ورأت هذه القبائل أنهـا ليست أقل من قريش فى أن يظهر من بينهم نبى مثلما ظهر بين قريش. وكان أمل هؤلاء المدعين أن يحققوا المجد والسلطان لأنفسـهم ولقبائلهم، مـثلما صار لمحمـد ولقريش. ورغم أن بعض رجال هذه القـبائل كـانوا يعلمون كـذب ادعاء هؤلاء المتنبـئين إلا أنـهم ساندوهم وظاهروهم توكـيدا لعـصبيـتـهم وجهالتهم. ولقد عمد المتنبئون إلى التشبه بالنبى فى الشكل والمظهر، كذلك عمدوا على الاستعانة بالسحر والكهانة والشعوذة، التى كانت لا تزال منتشرة وسائدة آنذاك بين قبائل العرب، فى إظهار كراماتهم والإيحاء للناس بحقيقة نبوتهم.

وإلى جانب هؤلاء المتنبـئين، كان هناك المرتدون عن الإسلام، وقد كانوا أصنافا مـختلفة، فمنهم: من ثار على الأوضاع الاجتـماعية الجديدة والقيم الأخلاقيـة التى أقرها الإسلام، وحاول إرساء قـواعدها بـينهم، وهى أوضاع وقـيم كانت ترتكز أسـاسا على العـدل والمساواة بيـن أفراد الجماعة الإسلاميـة ومنع العصبية والعنصرية وإذابة الفوارق السحيقة والمتناقـضات المقيتة بين أفراد القبيلة الواحدة وبين أفراد القبائل وبعضها البعض.

ومنهم من ارتد عن الإسـلام بتشككه فى صحـة نبوة الرسـول ﷺ غداة موته، وقـد كان هؤلاء يظنون أن الرسول ﷺ معصوم من الموت ولا تنطبق عليه نواميس البشر، فلما مات وأدركوا أنه واحد مثلهم يخضع لما يـخضعون له، صدموا واهتزت صورة هذا الـنبى أمام أعينهم فارتدوا. وقد كان معظم هؤلاء ممن تأخروا فى الدخول فى الإسلام، وبخاصة من سكان البحرين.



وهناك فريق ارتد بسبب رفضه دفع فريضة الزكاة بعد موت النبى ﷺ، واعتبار أن هذه الزكاة كانت مجرد جزية يعطونها لمحمد وهو حى، أو هى صدقة يتصدقون بها عليه فى حياته ليسير بها أحوال دولته، أما وقد مات، فإنهم رأوا، أنه ليس هنالك مبرر للاستمرار فى دفعها، خاصة بعد أن تولى أبو بكر الخلافة، وهو من قريش. وكان فى تصورهم أن دفعهم الزكاة له معناه الانقياد لقريش، وهم يرفضون هذا الأمر ويسعون للخلاص منه قدر إمكانهم. وقد جاء معظم هذا الفريق من ردة اليمن وعمان واليمامة، وكانت الكثرة الغالبة من المرتدين من أولئك الذين تمردوا على حكومة المدينة، بعد موت الرسول ﷺ، وبعد أن استقرت الخلافة بانتخاب أبى بكر، القرشى، خليفة. ولم يرتد هذا الفريق عن الإسلام، كفرا به وإنكارا لتعاليمه التى يعتقدون فى صدقها وصحتها، ولكنهم تمردوا تنصلا من تبعية الخضوع لحكومة المدينة وسيطرة قريش عليهم، وخاصة أن هذه القبائل لم تكن قد تعودت الخضوع لمثل هذه السلطة من قبل. وقد انحاز فريق من هؤلاء إلى ثورات بعض المتنبئين يستنصرون بهم على قريش أملا فى الخلاص والتحرر من زعامتها وقيادتها التى فرضت عليهم.

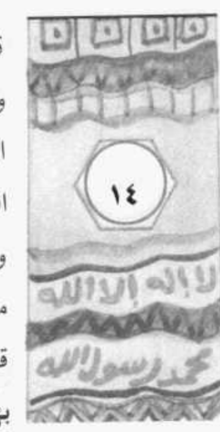
ولقد ساعد على تفشى أمر الردة ودعوة المتنبئين وقبول القبائل لها سطحية هذه القبائل فى فهم تعاليم الإسلام، الذى لم يكن قد استقر فى قلوبهم بعد، ولم تواتهم الفرصة لتفهم تعاليمه واستقرارها فى أذهانهم، وقد دخل هؤلاء الإسلام فى وقت قريب، وكانت صحبتهم للرسول صحبة قصيرة ومنهم من لم ير الرسول ﷺ ومن لم يسمع عنه. ولم يكن أمر الاقتناع بالعقيدة



والتعاليم الإسلامية الجديدة أمرا يسيرا على مثل هذه المجتمعات العربية القبلية التى عاشت على البداوة وتأثرت بطبيعة الصحراء القاسية وتأصلت فيها العادات القبلية وعبادة الأصنام والأوثان وتقديس كل ما هو قديم موروث. ولم يكن خافيا أنه كانت وراء هذه الحركات الهدامة أصابع خارجية تحركها فى الخفاء، تمثلت فى القوى المعادية للإسلام والحاقدة عليه وعلى سرعة انتشاره؛ أمثال يهود شمال الحجاز، ونصارى الحبشة ونجران والشام ومجوس العراق وفارس. وقد اعتمد هؤلاء فى تدبير مؤامراتهم على عملائهم داخل أراضى دولة الإسلام. وقد ظهر هذا الأمر واضحا جليا فى الشعارات المسيحية واليهودية والمجوسية التى رفعها هؤلاء المتنبئون والمرتدون لدعواهم ورسالاتهم الزائفة المزعومة.

ولقد كان الخليفة الصديق، وهو فى بداية خلافته، أمام أحد أمرين لا ثالث لهما، وهو إما أن يطأطئ الرأس أمام العاصفة حتى تمر وتهدأ ويتساهل مع هؤلاء المتمردين، كسبا للوقت، وإتاحة الفرصة لهم لتفهم الإسلام فهما صحيحا وبالتالى استقراره فى قلوبهم، وخاصة أن هؤلاء لم يكن قد انقضى زمن كاف على إسلام غالبيتهم. وقد يكون له العذر لو فعل ذلك بسبب الظروف الدقيقة والحرجة التى كانت تمر بها الدولة الإسلامية وهى فى طور التكوين فى الداخل والخارج. وإما تشمير السواعد وقتال المرتدين والمتنبئين دون هوادة وعدم التساهل مع مانعى الزكاة واعتبارهم مرتدين لانتقاضهم ركنا أساسيا من أركان الإسلام الخمسة.

ولقد اختار أبو بكر الأمر الثانى واعتبر الجميع مرتدين خارجين عن الدين، ورأى ضرورة الضرب بشدة فى معالجة مثل هذه الأمور التى قد يقضى التهاون فيها على الدولة، وقد يقتلعها أساسا من جذورها. وأعلن أبو بكر الحرب على الجميع وارتدى للحرب لباسه، وتحول هذا النحيل الهادئ الرقيق البكَّاء إلى

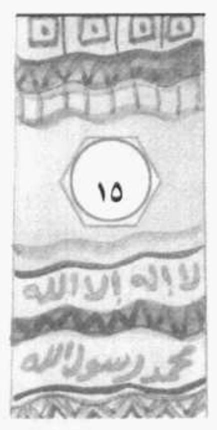


قائد ثائر عنيف متحد ومستعد للنزال حفاظا على وحدة الدولة التى ورثها وورث قيادتها عن رسول الله ﷺ وأخذ بيعتها من كافة المسلمين، ودفاعا عن الأمانة التى اؤتمن عليها غداة يوم سقيفة بنى ساعدة. هذا، وقد مال بعض الصحابة، وفيهم عمر العنيف المتشدد، وتكلموا مع الخليفة بشأن مانعى الزكاة وإمكانية تركهم وما يرغبون من منع دفع الزكاة حتى يتمكن الإسلام والإيمان من قلوبهم ويتفهموا فرضية الزكاة فيؤدوها طائعين. وكان بعض مانعى الزكاة قد احتجوا أمام الخليفة بقوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**(١٠٣)﴾ [التوبة]، وقالوا: «فلسنا ندفع الزكاة إلا لمن صلاته سكن لنا، وها قد رحل»، وقد قال عمر لأبى بكر: «إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم»، فقال له أبو بكر متحديا: «والله لو منعونى عقال ناقة كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لأقاتلنهم ولو قاتلتهم بمفردى حتى تنفرد بالموت سالفتى».

ولقد بدأ أبو بكر معالجة الموقف بإنفاذ بعثة أسامة بن زيد أولا إلى الشام، تحقيقا وتنفيذا لأمر ورغبة رسول الله ﷺ ، وليوهم أهل الردة استخفافه بحركتهم وأن حربهم لن تكلفه شيئا، وأنه إنما يجهز قوته الحقيقية للحرب الخارجية مع الروم، وأن دولته لديها من القوات ما يكفيها للقضاء على أى تمرد داخلى، وأنها لو لم تكن كذلك لما سارعت بإنفاذ جيش أسامة إلى الشام وفى مثل هذا الوقت بالذات. وقد كان هذا العمل العبقرى من جانب أبى بكر أول بداية النهاية للمرتدين.

وكانت المرحلة التالية فى مواجهة المرتدين هى تحصين المدينة، عاصمة الدولة، وحمايتها بالحراس والطلائع عند منافذها لرد أى عدوان من قِبَل أى من هذه القبائل المعادية عليها. وقد صدق حدس الصديق فى ذلك وظهر بُعْد نظره، حينما طمعت قبيلة غطفان فى قوة المسلمين، حين علمت بخروج حملة أسامة إلى الشام وظنها خلو المدينة من قوات تدافع عنها، فهاجمت المدينة، ولكنها فوجئت بباقى القوات الإسلامية مستعدة متأهبة للقائهم، فأوقعت بهم هزيمة ساحقة على أطراف المدينة، ففروا من وجهها عائدين إلى بلادهم بعد أن خاب سعيهم، وقد تتبعتهم القوات الإسلامية حتى مواطنهم، وقامت بضم هذه المواطن إلى الدولة بعد أن تعهد سكانها الالتزام بالطاعة.

وكان لهذا الانتصار على غطفان، هذه القبيلة الكبيرة، نتيجة مزدوجة إحداها على المرتدين والأخرى على المسلمين. فقد أدرك المرتدون متانة الجبهة الإسلامية فى الداخل والخارج، وعدم تأثر قوة المسلمين بخروج حملة أسامة إلى الشام. وبالنسبة للمسلمين، فقد أحسوا بقوتهم



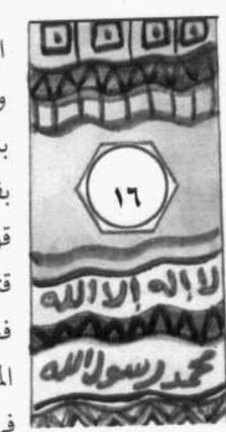
وبحلاوة الانتصار، الأمر الذى زاد من عزيمـتهم وقوّى من إرادتهم فى مقاتلة المرتدين أينما كانوا حتى إحراز النصر عليـهم. كذلك استفاد الخليفة من غنائم غطفان، وغنائم حملة أسامة التى عادت منتـصرة ومحملة بالغنائم، فى تجهيز أحد عشـر جيشا لمقاتلة المـرتدين والمتنبئين ومانعى الزكـاة. وقد جعل أبو بكر اللواء والقيادة لكل جـيش من هذه الجيوش لقائد كبيـر وبطل رائد من مقاتلى الإسلام. ووجه هذه الجيـوش جميعها، فى وقت واحـد، كل جيش منها إلى جهة من جهات أهل الردة والمتنبئين. ولـقد انتدب أبو بكر لقيادة هذه الجيوش كلا من: خالد بن الوليـد، وعكرمة بن أبى جهل، والمهاجر بن أمـية، وخالد ابن سعيد بن العاص، وعمرو بن العـاص، وحذيفة بن محصن، وعرفجة بن هرثمة، وطريف بـن حاجز، والعـلاء بن المغيث الحضـرمى، وسويد بن مـقرن، وشرحـبيل بن حسنة.

ولقد حدد الخليفة لكل قائد المنطقة التى سيتـوجه لقتال أصحابها، وطلب من جميع القواد ألا يبدأ أحدهم الحرب مع أهل الجـهة المتوجه إليها إلا بعد أن يدعوهم إلى الاسـتتابة والعودة من الارتداد إلى الإسلام، فـإن استجابت قـبل منها وإن أبت قاتلها دونمـا انتظار. كذلك طلب منهم الاستعانة بمـن ثبت على إسلامه من أهل القبائل على المرتدين منهم، لأنهم أعلم بأحـوال قومهم منهم وأعلم بنقاط قوتهم ونقاط ضعفهم.

هذا، وقد نفذ الـقادة أوامر الخليفة، ولما لـم تستجب القبائـل لطلب الاستتابة واسـتجابت لنداء الأنفة والعصـبية القبلية وصـمموا على الحرب حاربتـهم الجيوش الإسلامية حـربا شرسة لا هوادة فيـها، انتهت بتمـزيق فلولهم وسحق قواتهم والقـضاء تماما على المرتدين والمتنبئـين وعودة فلول هذه القبائل إلى حظيرة الإسلام.

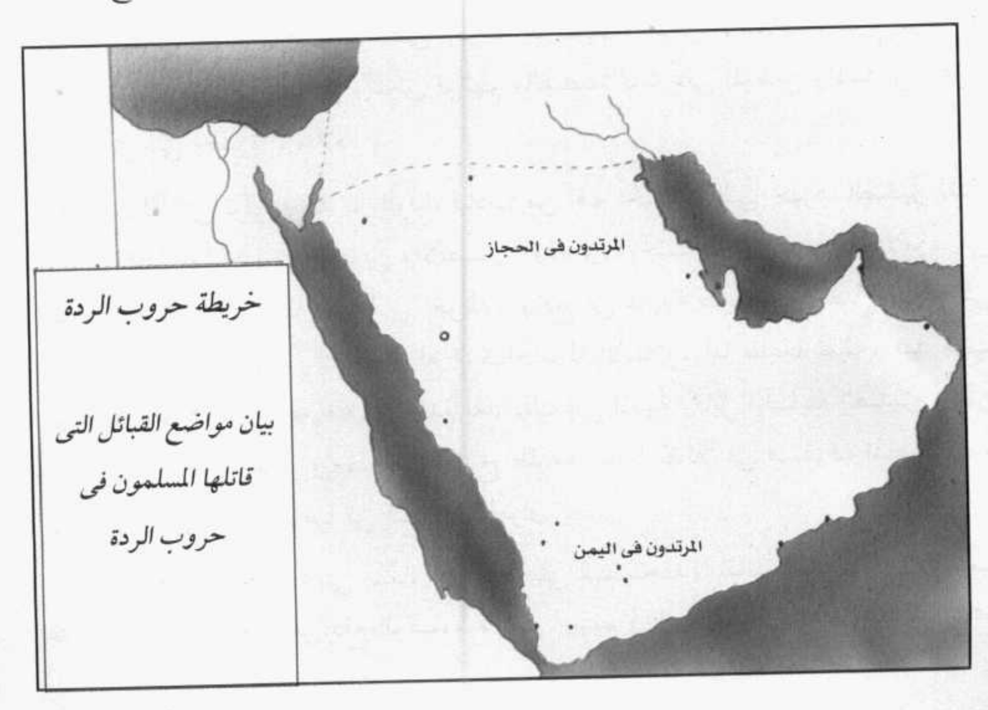
وتعد الحملة التى تولى خالد بن الوليد قيادتها من أهم الحملات التى جهزها الصديق لقتال المرتدين، وقد كـان بها خيـرة المهاجرين والأنصـار. وقد وجه خـالد اهتمامـه، أول الأمر، إلى إخضاع قبيلة بنى أسد وزعـيمها طليحة بن خويلد، ونجح فى هزيمة طليحـة وإخضاع قبيلته التى أعلنت توبتها وعودتها للإسلام والتزامها بدفع الزكـاة لدولة الإسلام. أما طليحة نفسه، فقد هرب إلى الشام، بعد انفضـاض أتباعه عنه، ثم قدم بعد ذلك إلى المدينة وقابل الخـليفة الصديق وأعلن توبته أمامـه، فعفا الخليفة عنه. وبعـد ذلك أصبح طليحة جنديا مقاتلا فى صـفوف المسلمين أيام الفتح، وأبلى بلاء حسنا وخصوصا فى فتح بلاد العراق.

وتوجه خالد، بعد هزيمة بنى أسد، إلى قبيلة بنى تميم بنجـد، لمقاتلة أتباع سجاح التميمية الذين اعترفوا بنبوتها وامتنعوا عن دفع الزكـاة، فانتصر عليهم وعادوا إلى الإسـلام والتـزموا بدفع



الزكاة. ثم سار خالد، بعد ذلك، بقواته إلى اليمامة لمقاتلة بنى حنيفة ونبيهم مسيلمة الكذاب. ونظرا لخطورة حالة مسيلمة وقوة تسليح أتباعه من بنى حنيفة، قام أبو بكر بإمداد جيش خالد بقوة جديدة من مقاتلى المسلمين بقيادة عكرمة بن أبى جهل وشرحبيل بن حسنة. وتقابل الجيش الإسلامى مع قوات مسيلمة فى معركة حامية استبسل الجانبان فيها وسقط فيها عدد كبير من قتلى الفريقين، حتى ألجأ خالد مسيلمة إلى مكان حصين يعرف بالحديقة، فحصره هناك. ونجح البراء ابن مالك فى فتح باب سور الحديقة، فاقتحمها المسلمون وهم يكبرون ويهللون. ونجح أبو دجانة الأنصارى الذى كان بطلا فى معركة أحد، والذى نال الشهادة فى هذه المعركة، مع وحشى الحبشى، قاتل حمزة عم الرسول ﷺ، فى الوصول إلى مكان مسيلمة وقتله. ففر بنو حنيفة منهزمين حين تأكدوا من قتل نبيهم المزعوم، وأمعن المسلمون القتل فيهم حتى تم القضاء على قوة بنى حنيفة. وبعد المعركة، جاءت وفود المنهزمين من بنى حنيفة إلى معسكر خالد وأعلنت توبتها وندمها وبراءتها من الردة ومسيلمة ورجوعها إلى الإسلام، فقبل خالد ذلك منهم وعفا عنهم. هذا، ولقد استشهد فى حرب بنى حنيفة عدد كبير من المسلمين، وبخاصة من حفظة القرآن.

ولقد نجحت كل القوات التى أرسلها الخليفة الأول فى مهمتها، وقضت بغير رجعة على حركة الردة والمتنبئين التى كادت تجهض دولة الإسلام وهى فى المهد. ونجح خليفة رسول الله ﷺ فى أكبر امتحان تعرض له. ورغم انتهاء حرب الردة إلا أن آثارها استمرت قائمة فى المجتمع الإسلامى وأنه كانت لهذه الآثار تأثير على الجماعة الإسلامية فيما بعد فى عدة نواح:





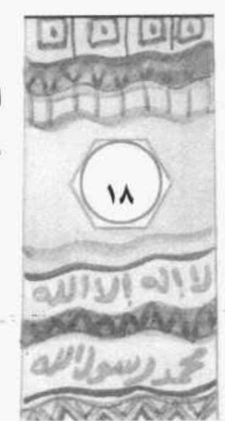
فمن الناحية الاجتماعية، فقد ظلت جماعة المرتدين والقبائل التى شاركت فى الردة تشعر بعقدة الذنب حتى بداية خلافة الخليفة الثانى عمر، خاصة لأن أبا بكر لم يسمح لهم بالمشاركة فى الفتوح الإسلامية، فحرمهم بذلك من أجر الجهاد فى الآخرة وحصيلة الغنائم التى كانوا فى حاجة إليها فى دنياهم لمواجهة ظروف بلادهم الاقتصادية الصعبة.

ومن الناحية الدينية، فقد وضح أمر الإسلام ووضحت حقيقته لكل العرب الذين عرفوا صدق دعوة هذا الدين وتأكدوا من استمرارية الدعوة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ.

ولقد تأكدت عبقرية الصديق فى أمر الردة، فهو بعد أن قضى على المرتدين لم يشأ أن يترك القوات العائدة من الحرب منتصرة بلا شغل يشغلهم فى المدينة فتقتتل مع بعضها البعض، فقام بتوجيه هذه القوات المنتشية بخمر النصر إلى الجهاد والفتح ونشر رسالة الإسلام ودين الله خارج جزيرة العرب، وذلك تنفيذا لخطة رسول الله ﷺ فى إبلاغ دعوة الإسلام إلى كل بقاع الأرض. فلم تكد القوات الإسلامية العائدة من حرب المرتدين والمتنبئين تلتقط أنفاسها إلا وسمعت النفير العام يستنفرهم للجهاد والفتح. وجهز الصديق جيوشه لفتح بلاد العراق وبلاد الشام وجعل القيادة لجيشى الفتح للقائدين العظيمين: خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى.



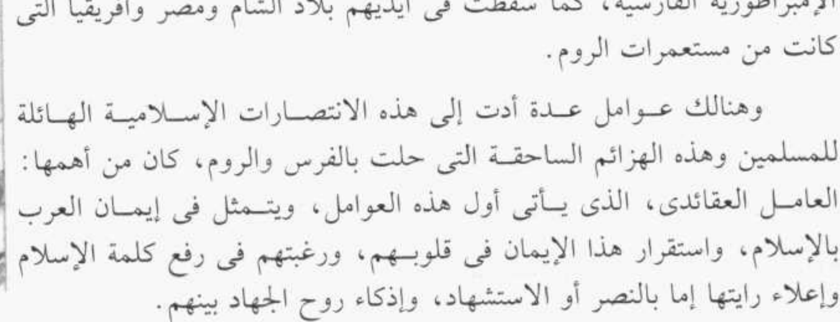
وبذلك أعلن الخليفة الراشد أبو بكر بدء مرحلة جديدة فى حياة الدولة الإسلامية، وهى مرحلة الفتح والتوسع وتكوين الدولة العربية الكبرى التى ستصل إلى أكبر اتساع لها فى عهد الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب.



توسيع حدود الدولة خارج نطاق شبه الجزيرة العربية

أمر الله تعالى رسوله بأن يبلغ دعوة الإسلام للناس كافة وعامة، لأنها آخر رسالات السماء إلى الأرض، وآخر إنذار إلهى لبنى البشر للعودة إلى عبادة الله الواحد الأحد خالق هذا الكون ونبذ الشرك به وما هو دون الوحدانية من عبادات زائفة واعتقادات فاسدة. من أجل ذلك، أرسل الرسول ﷺ، فى السنة السادسة من الهجرة، كتبه إلى ملوك وحكام العالم وقتذاك يدعوهم إلى الإسلام، ويطلب منهم أن يخلوا بين شعوبهم وهذا الدين حتى يقفوا على حقيقته وألا يكونوا حاجزا بينهم وبينه، وبذلك يمنعوا الهداية عنهم كما منعوها عن أنفسهم.

ولما لم تؤت هذه الكتب النتائج المطلوبة من إرسالها أيقن الرسول ﷺ أن حكام هذه الدول التى أرسل كتبه إليهم قد تصدوا لدعوته وقد حجبوا عن شعوبهم دعوة الدين الجديد. لذا استتبع ذلك من الرسول ﷺ، ومن يتولى أمر دعوة الإسلام من بعده، أن يزيل هذا الحاجز ويكسره بمحاربة هؤلاء الحكام وإسقاط حكوماتهم لتوصيل دعوة الإسلام إلى شعوبهم. وقد بدأ الرسول ﷺ ذلك بإرسال جيشه لمحاربة الروم عند تخوم الشام ووقوع غزوة مؤتة بينهما فى العام الثامن للهجرة. ثم كانت غزوة تبوك فى العام التاسع للهجرة، والتى قادها بنفسه ونجحت فى إظهار قوة الدولة الجديدة لدولة الروم التى كانت تعانى آنذاك من الضعف والتدهور. ثم جاء إعداد حملة أسامة بن زيد، قبل وفاة الرسول ﷺ وإنفاذ أبى بكر لها فى بداية خلافته ونجاحها فى هزيمة القوات القبلية البدوية التى التقت بها فى منطقة البلقاء (الأردن) وتحقيق الهدف الذى خرجت من أجله. ولما أنهى أبو بكر حربه مع المرتدين والمتنبئين وجه قواته، التى عادت تحمل أكاليل النصر، إلى فتح بلاد الشام والعراق، معلنا بذلك الحرب على أكبر قوتين فى العالم آنذاك وهما دولتا الفرس والروم.



وتوالت الانتصارات العربية الإسلامية على قوات الفرس والروم، وسقطت فى يد المسلمين، فى فترة وجيزة لم تتجاوز العشر سنوات، كل الإمبراطورية الفارسية، كما سقطت فى أيديهم بلاد الشام ومصر وأفريقيا التى كانت من مستعمرات الروم.

وهنالك عوامل عدة أدت إلى هذه الانتصارات الإسلامية الهائلة للمسلمين وهذه الهزائم الساحقة التى حلت بالفرس والروم، كان من أهمها: العامل العقائدى، الذى يأتى أول هذه العوامل، ويتمثل فى إيمان العرب بالإسلام، واستقرار هذا الإيمان فى قلوبهم، ورغبتهم فى رفع كلمة الإسلام وإعلاء رايتها إما بالنصر أو الاستشهاد، وإذكاء روح الجهاد بينهم.

كذلك فإن من عوامل النصر الإسلامى تغير أسلوب القتال بين المسلمين وبين الفرس والروم، فلقد حارب العرب المسلمون حربا فدائية تعتمد على الكر والفر وتعتمد على المجابهة الشخصية والفروسية، وهى حرب لم يتعود الفرس والروم على مثلها، فقد كانت جيوشهم نظامية بطيئة الحركة ثقيلة التسليح لم تتعود على حرب العصابات الفدائية التى تعتمد أساسا على نصب الكمائن وسرعة مباغتة العدو.

وأيضا فإن الحالة المتردية التى كانت عليها الدولتان الكبيرتان، وحالة الإنهاك التى حلت بهما آنذاك نتيجة للحروب الطويلة بينهما كان لها أكبر الأثر فى سهولة هزيمة قواتهم التى كانت تقاتل بلا روح ولا حماس أو إيمان. كذلك فإن هذه الحروب بينهما كانت قد عطلت مواردهما وأنهكت اقتصادهما مما كان له انعكاساته على قتالهم مع المسلمين، فضلا عن أن الاضطهاد الدينى الذى وقع على شعوب هاتين الدولتين الواقعة تحت حكمهما، كان من أهم الأسباب التى أدت إلى نجاح غزوات المسلمين ضدهما، بسبب المساعدات والتسهيلات التى كانوا يقدمونها للجيوش الإسلامية الفاتحة لبلادهم. وقد كانت هذه الشعوب تطمع فى التحرر من احتلال الفرس والروم لبلادهم، وترحب بالمسلمين الذين جاءوا ليطبقوا شرع الله الذى ساوى بين عباده جميعا رغم اختلاف أجناسهم وألوانهم.

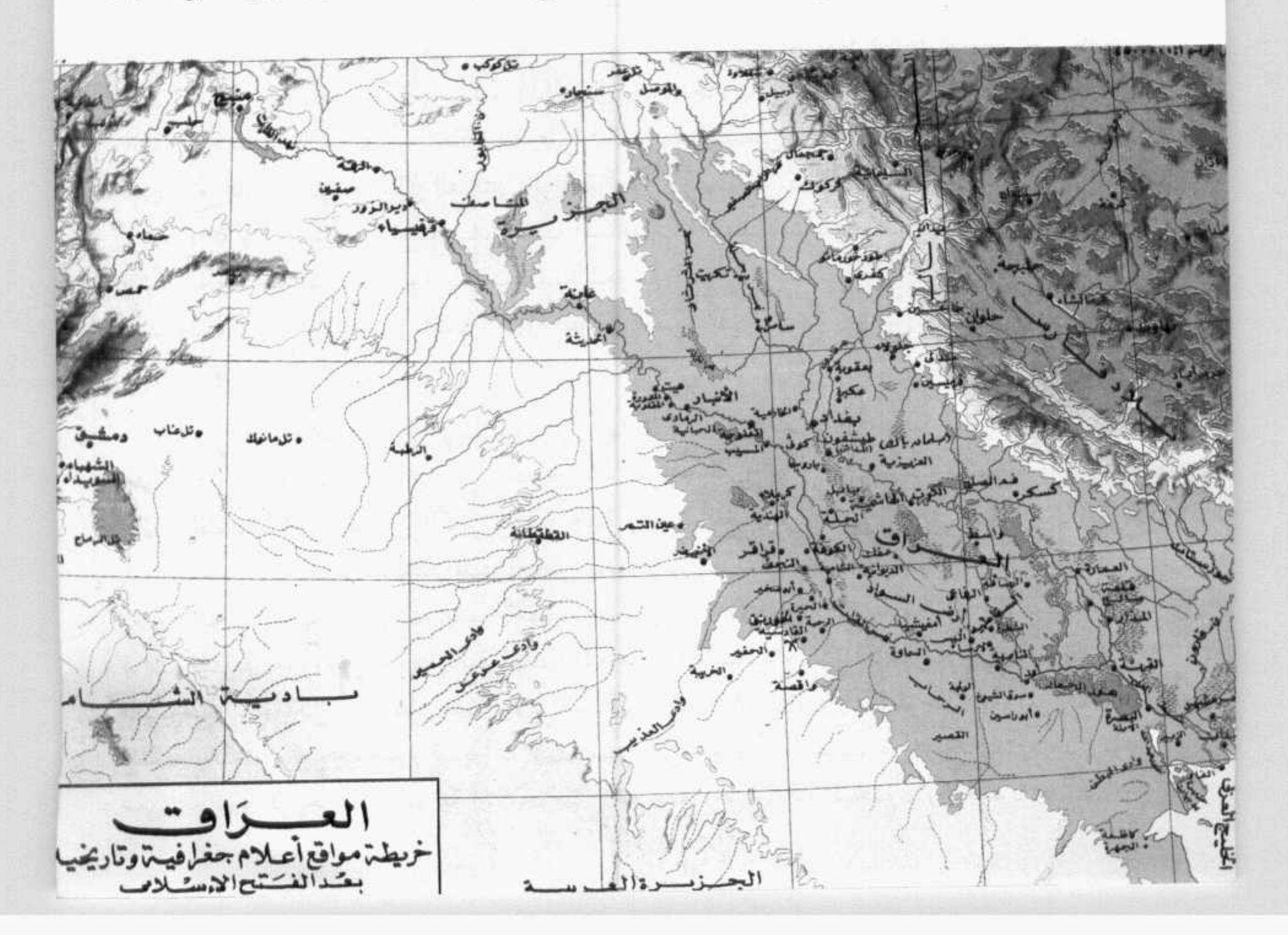
أما عن أحداث الفتوح الإسلامية، فى عهد الصديق، فقد دلت سياسة أبى بكر فيها على بعد نظره وقوة عزيمته وجرأته حين وجه جيوشه لغزو دولتى الفرس والروم فى وقت واحد، وقد حال بذلك دون اتحاد القوتين الكبيرتين فى جبهة واحدة، لضرب المسلمين. وقد اتخذ القتال، فى بادئ الأمر، طابع الاشتباكات المتفرقة التى يخوضها الفرسان وطليعة الجيش جسًا لنبض قوة العدو، ثم ما لبث أن تحولت هذه الاشتباكات إلى معارك طاحنة انتهت بتغلب المسلمين على قوات الفرس والروم، ثم مطاردة قواتهما المندحرة والاستيلاء على الأسلاب والغنائم والبلاد المفتوحة. ولم يكن أمام أهل هذه البلاد بعد أن واجهت الإسلام وجها لوجه غير أمرين، إما اعتناقه والدخول فى حمايته والتمتع بما للمسلمين من حقوق وما عليهم من واجبات، وإما البقاء على دياناتهم المسيحية أو اليهودية أو المجوسية، مع دفع الجزية، أما الملحدون والوثنيون فلا مكان

لهم تحت مظلة الحكم الجديد؛ لأن هذه الفتوح أعلنت نهاية دولة الشرك والوثنية من العالم كله.

وعن تفاصيل الفتح فى عهد الصديق، نقول إن الخليفة عهد إلى المثنى ابن حارثة الشيبانى بغزو العراق، بعد فراغه من حرب المرتدين فى منطقة البحرين، ثم أسند القيادة بعد ذلك إلى خالد بن الوليد، بعد فراغه من مقاتلة بنى حنيفة والقضاء على مسيلمة الكذاب سنة ١٢هـ/٦٣٣م. فسار خالد بقواته التى كانت معه فى اليمامة وانضمت هذه القوات لقوات المثنى القادمة من البحرين، وتوجهت القوتان من البحرين إلى العراق. وكانت العراق مستعمرة فارسية، يحكمها القائد «هرمز» نيابة عن ملك الفرس.

ذات السلاسل:

ولقد أرسل الخليفة قوات إضافية لمساعدة قوات خالد، بقيادة القعقاع بن عمرو التميمى، انضمت للقوات المتوجهة لفتح العراق، ولمـَّا اكتمل تجمع جيش خالد، انطلق به إلى داخل العراق

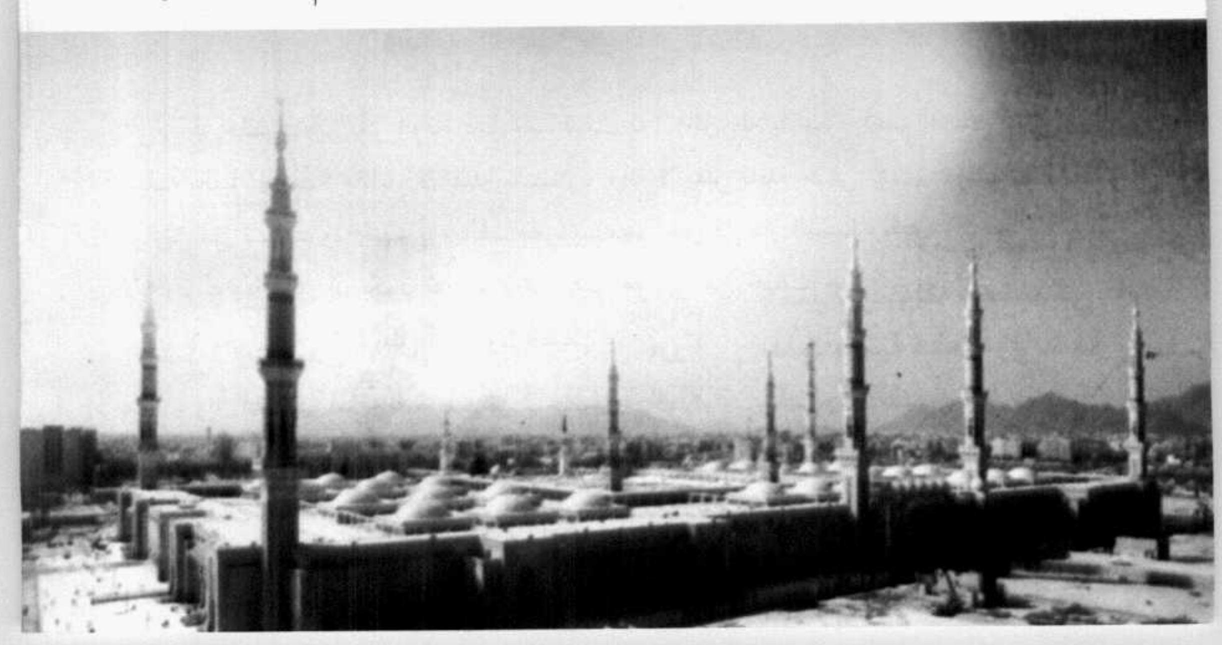




بتشكيل مكون من ثلاث فرق على كل فرقـة قائدها. وقد قاد المثنى بن حارثة فرقة، وقـاد الثانية عدى بن حاتم الطائى، أمـا الفرقة الثالثة فـقد تولى خالد قيادتهـا بنفسه. وخرجوا متـتالين، وتواعدوا باللقاء عند منطقة الحـفير، وهى منطقة مياه بالقرب من البصرة. وبعـد أن تجمعت الفرق الثلاث الإسلامية عند الحفيـر التقت هنالك مع قوات هرمـز الفارسية، وكـانت نتيجة اللقـاء هزيمة الفرس ومقـتل قائدهم هرمز وفرار من بـقى من رجاله على قيد الحـياة. وقد عرفت معركة الحفير هذه أيضا بموقعة «ذات السلاسل»؛ لأن قائد الفرس هرمز كان قد قـام بتقييـد جنده بالسلاسل حتى لا يفـروا من لقاء العدو ويثبـتوا فى القتال.

وواصلت الجيوش الإسلامية سيرها، بعد المعركة، داخل العراق حتى بلغت موضع البصرة الحالى، وهنالك أوقـعت الهزيمة بالقـوات الفارسيـة التى رابطت فى البصرة. ثم قـامت القوات الإسلامـية بعبور الفـرات وحاربت هنالك قبـائل بنى تغلب العربية وهزمـتها، ثم اسـتولت على مدينتى: الحـيرة والأنبار. ومن الحـيرة، توجه خـالد، على رأس قواته، إلى عـين التمر، فـفتح حـصنها عنوة. ثم سـار بعـد ذلك، شمـالا حتى وصل الـغراض، على حـدود الشام والعـراق والجزيرة، وهنالك اشتبك مع قوات الفرس فى معركة كـبيرة انتهت بنصر المسلمين، ثم عاد خالد بقواته إلى الحيرة.

مسجد الرسول الكريم ﷺ بالمدينة المنورة





وهنالك وجد خالد فى انتظاره أمر الخليفة بالانتقال من العراق إلى الشام لمساعدة جيوش المسلمين التى كانت قد توجهت لفتح الشام وكانت آنذاك فى وضع حرج، كذلك إدراك الخليفة أن حرب الروم تتطلب قيادة شخصية قيادية كبيرة للجيش سبق لها محاربة الروم مثل شخصية ابن الوليد. وقد أمر الخليفة الصديق خالدا بترك إمرة جيش العراق للمثنى بن حارثة، وأن يعجل بالمسير بنصف القوات إلى الشام. وقد قام خالد بتنفيذ أمر الخليفة، الذى ربما كان آخر الأوامر التى أصدرها، فقد وافاه الأجل آنذاك وانتقل إلى الرفيق الأعلى.

وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء، بين المغرب والعشاء، ٢٢جمادى الآخرة سنة ١٣هجرية، مات بالحمى بعد أن لازمته خمسة عشر يوما، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقد غسلته زوجته أسماء بنت عميس بوصية منه، وصب عليها الماء ابنه عبد الرحمن، وصلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد الرسول ﷺ، ودفن إلى جوار الرسول ﷺ فى حجرة عائشة وألصقوا لحده بلحد الرسول. ونزل فى قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن، ودفن ليلا. وقد خلف أبو بكر من الأولاد ستة: ثلاثة بنين، هم على التوالى: عبد الله وعبد الرحمن ومحمد، وثلاث بنات: عائشة وأسماء وأم كلثوم.

ترشيحه عمر بن الخطاب خليفة من بعده

لما حضرت أبو بكر الوفاة دعا عمر فقال له: «اتق الله يا عمر واعلم أن لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل وعملا بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة. وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لايكون له إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم باتباعهم الباطل وحق لميزان لا يكون فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا.

وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قلت إنى لأخاف ألا ألحق بهم، وأن الله ذكر أهل النار وذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنها، فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله ولا يقنط

من رحمته، فإن أنت حفظت وصيتى فلا يك غائب أحب إليك من الموت وإن لم تحفظ وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت».

ودخل جماعة من الصحابة على أبى بكر وهو فى فراش الموت، لما عزم على استخلاف عمر، فقال له قائل منهم: «ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته»، فقال أبو بكر:

«أجلسونى، أبالله تخوفوننى، خاب من تزود من أمركم بظلم. أقول: اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عنى ما قلت لك من وراءك» ثم اضطجع وجاء عثمان بن عفان وقال له: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إنى استخلفت بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا، فإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيرا، فإن عدل فذاك الظن به وعلمى فيه، وإن بَدَّل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا علم لى بالغيب. وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله بركاته».

ولقد استمرت خلافة أبى بكر مدة عامين، ولما مرض مرض الموت وأحس بدنو أجله خشى إن هو قبض ولم يتدبر أمر من يخلف المسلمين فى الحكم بعده ويجمع شتاتهم ويوحد كلمتهم، أن يعود الاختلاف والشقاق بين المسلمين فيتمكن عدوهم منهم، وهو يرى أن الأخطار ما زالت تحيط بدولة الإسلام، وجيوشهم قد خرجت للجهاد. وقد كان ماثلا أمام ناظرى الصديق ما حدث بين المسلمين يوم سقيفة بنى ساعدة غداة وفاة رسول الله ﷺ. فرأى، ببعد نظره، أن يحتاط لهذا الأمر تلافيا للخطر وتجنبا له. فنظر أبو بكر فى أهل الشورى من كبار صحابة رسول الله ﷺ رجلا تتوافر فيه صفات خليفة المسلمين ويرضى المسلمون بحكمه لهم فوقع اختياره على عمر بن الخطاب. وأراد الصديق، قبل أن يمكن لهذا الاختيار، أن يستشير فيه كل من دخل عليه من الصحابة. فاستشار منهم: عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وأسيد بن حضير الأنصارى، وسعيد بن زيد الأنصارى، وغيرهم من كبار المهاجرين والأنصار الذين عادوه فى مرضه، فأثنوا على عمر وأيدوا ترشيح الصديق له للخلافة. ثم دعا الخليفة أبو بكر عثمان بن عفان وأملاه كتاب عهده لعمر.

وكانت هذه البيعة الخاصة، وقد قرئ العهد لعمر فى مسجد الرسول ﷺ، وأخذت لعمر البيعة العامة، وقد قام عمر خطيبا فى الناس يعلن عن برنامج سياسة حكومته ويتلخص فى تحمله مسئولية قيادة المسلمين على الطريق القويم.

هذا، وقد بويع عمر بالخلافة صبيحة ليلة وفاة أبى بكر سنة ١٣هـ.

٢٤



هو عمـر بن الخطاب بن نفيل بن عبـد العـزى، من بنى عـدى (القرشيين)، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عمر، وكناه رسول الله ﷺ أبا حفص، وكان ذلك يوم بدر، كذلك سماه ﷺ الفاروق؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل. كان أبيض اللون، طويل القامة، أصلع أجلح، كث اللحية أعسر شديد حمرة العينين.



كانت سن عمر عندما دخل الإسلام اثنتين وثلاثين سنة، فكان شابا قويا. وكان إسلام عمر بعد خروج من خـرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشـة، وكان عمر قد خرج يومـا متقلدا سيفه فلقيه رجل من بنى زهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمدا، قال: وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت مـحمدا؟ فقال له عمر: مـا أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذى أنت عليه، قـال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن أخـتك وختنك قد صبـئا وتركا دينك الذى أنت عليه. فمشى عمر حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب. فلما سمع خبـاب صوت عمر توارى فى البيت فدخل عليـهما وقال: «ما هذه الهـمهمة التى سمعـتها عندكم، قال: وكـانوا يقرأون سـورة طه فقـالا: ما عدا حـديثا تحدثنـاه بيننا، قال: فلعلكمـا قد صبأتما؟ قال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق فى غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطأه وطأ شديدا، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فلطمها بيده حتى أدمى وجهها. فقالت له وهى غضبى: يا عمـر إن كان الحق فى غـير دينك اشـهد أن لا إله إلا الله واشـهد أن (سيـدنا) محـمدا عـبده ورسوله. فلما تبين عمر قال: أعطونى هذا الكتـاب الذى عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنك نجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى أتى إلى قـوله تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴿١٤﴾ ﴾ [طه]، فقال عـمر: دلونى على محمـد. فلما سمع خباب قـول عمر خرج من مخـبئه وقال: أبشر يا عمـر فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخمـيس: اللهم أعز الإسلام

بعمـر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام»، قـال ورسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا.

فانطلق عمـر حتى أتى الدار، قال: وعلى الباب حـمزة وطلحة وناس من أصحـاب رسول الله ﷺ، فلمـا رأى حمزة وجل القـوم من عمـر، قال حمزة: نعم فهذا عمر، وإن يرد الله بعـمر خيرا يسلم وإن يرد غير ذلك قتلناه بسيفه. فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال له: أما أنت بمنته يا عمر، ما جاء بك يا ابن الخطاب؟.

فقـال عمـر: جئت لأومن بالله ورسـوله، قال: فكبّـر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البـيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم. فتـفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفان لهم من عدوهم.

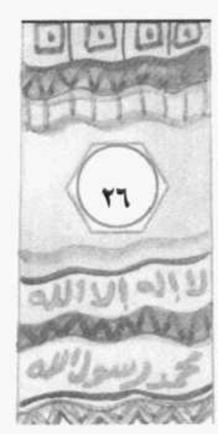
قال عمـر: «لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أى أهل مكة أشد لرسـول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت، قال فقلت: أبو جهل، قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه، قال: فخرج إلىَّ أبو جهل، فقال: مرحـبا وأهلا يا ابن أختى ما جاء بك؟ قال قلت: جئت أخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب فى وجهى وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به.

وعن ابن مسعود أنه قال: «كـان إسلام عمر فتحًا وهجرته نصـًرا وإمارته رحمة، لقد رأيتنا ولم نستطع نصلى بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عـمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا وما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر».

ولقد كان إسـلام عمر مكملاً لإسلام أربعـين رجلا، فقد أسلم مع رسـول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلا، ثم إن عمر أسلم فـصاروا أربعين رجلا، فنزل جبريل عليـه السلام بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال].



لم يُعلم أن أحدا من المهـاجرين هاجر إلا مختـفيا إلا عمر بن الخطاب فـإنه لمَّا هاجر تقلد سيفه وتنكب قوسه ومضى نحو الكعبة والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا ثم أتى المقام فصلى مـتمكنًا ثم وقف وقال: «من أراد أن تثكله أمه أو يُيتّم ولـده أو تُرمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى». فما تبعه أحد.





اختص عمر بموافقة التنزيل فى قضايا دينية هامة منها:

اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وفى الحجاب، وفى أسارى بدر.

فقد أشار عمر على رسول الله ﷺ باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿ ... **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ... ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة].

وفى مسألة أسارى بدر، استشار رسول الله ﷺ فى مصيرهم كلا من أبى بكر وعمر، فأشار أبو بكر بإطلاق الأسارى بعد أخذ الفدية منهم، وأشار عمر بقتل الأسارى، وأخذ الرسول ﷺ برأى أبى بكر، وأيد القرآن رأى عمر بنزول قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنفال].

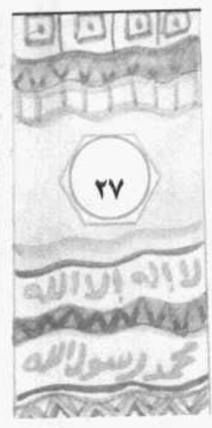
وفى أمر حجاب زوجات الرسول ﷺ، قال عمر لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله ﷺ يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين؟ فأنزل الله قوله: ﴿ ... **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ... ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

ومن خصائص عمر أن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، كذلك اختصاصه بالهيبة ونفران الشيطان منه، كذلك اختصاصه بالشدة فى أمر الله تعالى. وأنه أول من تسمى بأمير المؤمنين، وأنه من العشرة المبشرين بالجنة. وإشارته على أبى بكر بجمع القرآن ما يدل على غزارة علمه وحسن نظره وفراسته وإصابة رأيه.

ومن خصائصه توليه القضاء على عهد رسول الله ﷺ. كذلك تواضعه وزهده وشفقته على رعيته وتفقد أحوالهم ومحافظته على مال المسلمين.

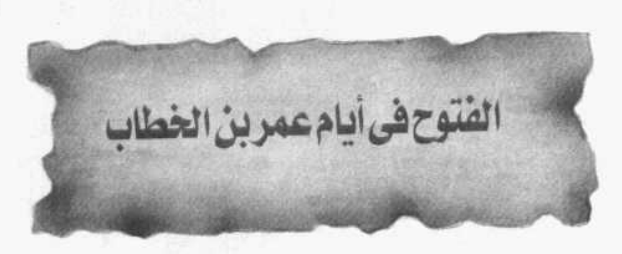


تولى عمر الخلافة بوصية أبى بكر له، وبإجماع الصحابة والمسلمين على تزكية اختيار أبى بكر له، وعقب ذلك أعلن عمر فى أول خطاب له، بعد توليه الخلافة، أنه سيقتدى فى سياسته للأمة برسول الله ﷺ وبالشيخ أبى بكر، وأنه سيعمل على تدعيم قوة أمة الإسلام، وأنه سيجعل الشورى والعدالة أساس الحكم فى دولته. وأنه سيواصل تبليغ رسالة الإسلام للناس كافة متبعًا فى



ذلك سنة الرسول ﷺ وسنة الخليفة سابقه بمواصلة الفتوح ومحاربة الوثنية والشرك بالله فى كل مكان. وقد تمكن عمر من تحقيق ما وعد به فكان الخليفة المثل والقدوة لكل زمان ومكان.

وقد تولى عمر بن الخطاب الخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر، لمدة عشر سنوات، كان خلالها مثالا للحاكم المسلم الحق الذى التزم بمبادئ التشريع الإسلامى فى الحكم ومسيرة دولة الإسلام.





تركنا فتوح العراق عندما ترك خالد بن الوليد القيادة للمثنى بن حارثة بعد أن تقدمت القوات الإسلامية حتى الأنبار، وكان أبو بكر قد أوصى عمر، وهو على فراش الموت، بأن يرسل مددًا إلى المثنى يساعده على حربه فى العراق بدلا من القوات التى اصطحبها خالد معه حين توجه للقتال فى الشام.

معركة الجسر:

ولما ولى عمر الخلافة، لم يعمل على إعادة خالد إلى العراق بل استبقاه فى الشام، وأرسل نجدة عسكرية إلى المثنى بن حارثة بقيادة أبى عبيد ابن مسعود الثقفى. وكتب للمثنى بجعل قيادة الجيش العامة فى العراق لأبى عبيد والعمل تحت إمرته. وقد ولى عرش الفرس آنذاك، من الأسرة الحاكمة الفارسية، امرأة تدعى بوران. وقد وجهت هذه المرأة سياستها إلى طرد العرب من ريف العراق، وأسندت قيادة الجيش، الذى يقاتل العرب، لأمهر قوادها «رستم». وتوالت المعارك بين المسلمين والفرس، حتى وقعت بينهما معركة «الجسر» الشهيرة التى هُزم فيها المسلمون وقتل فيها قائدهم أبو عبيد الثقفى تحت أرجل الفيلة التى استخدمها الفرس فى حربهم فى مقدمة جيشهم،

واستشهد معه أربعة آلاف مسلم بين قتيل وغريق فى نهر الفرات.

ولقد أفلح المثنى فى سحب باقى جيشه من المعركة سالمًا. وكان وقع الهزيمة على المسلمين وعلى الخليفة عمر شديداً، وقيل: إن عمر بقى سنة لا يذكر أمر العراق لمصاب أبى عبيد والمسلمين فيه.

ثم أرسل عمر بعد ذلك مددًا للمثنى من رجال القبائل الذين سبق ارتدادهم من أهل اليمن من قبيلتى بجيلة وكندة اليمنيتين. وقد رأى عمر ضرورة الاستفادة من قوات هؤلاء التائبين من المرتدين بعد أن صلحت توبتهم وبعد أن أبدوا إظهار رغبتهم فى الجهاد كسبًا للأجر والثواب، كذلك كسبا لغنائم الحرب بعد أن أضيروا من عدم المشاركة فيها فى عهد الصديق.

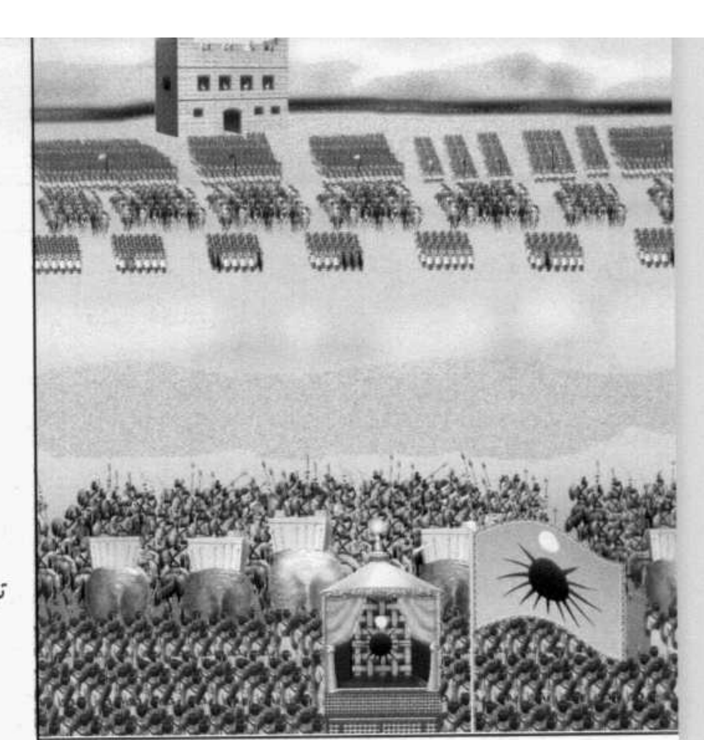


مسجد عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة

معركة البويب:

ولقد التقت القوات الإسلامية، التى بلغ عدد رجالها اثنى عشر ألف جندى، مع قوات الفرس، التى زاد عددها على مائة ألف جندى، عند منطقة «البويب» على نهر الفرات. وانتهت معركة البويب بنصر المسلمين على الفرس.

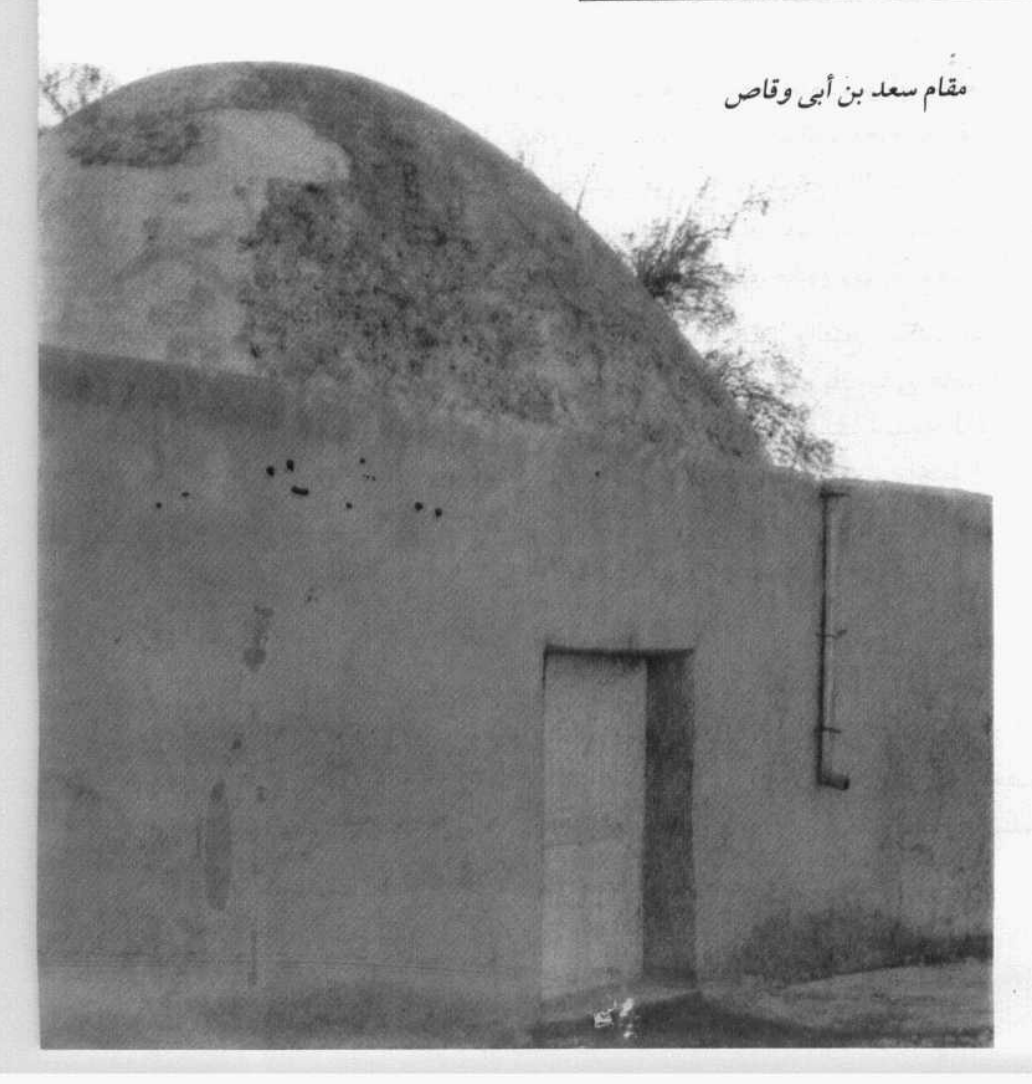
وقد فتح لهم هذا النصر الطريق إلى عموم العراق، فاستولوا على كل المنطقة الممتدة بين دجلة والفرات من أرض السواد. كذلك أوقع الرعب والفزع فى قلوب الفرس الذين يئسوا من إمكانية إحراز النصر على المسلمين، ففتّ ذلك فى عضدهم، ومن ناحية أخرى شجع المسلمين على مواصلة الفتح فى أرض فارس نفسها. وقد توفى المثنى بن حارثة الشيبانى بعد هذه المعركة متأثرا بجراحه بعد أن أبلى فى فتح العراق بلاءً عظيمًا جعل التاريخ يحفر اسمه بأحرف من نور.





ترتيب الجيوش العربية فى معركة القادسية
حسب وصفها فى أطلس الفتوحات
الإسلامية

مقام سعد بن أبى وقاص





وأرسل الخليفة عمر الصحابى الجليل «سعد بن أبى وقاص» ليتولى قيادة جيوش المسلمين المحاربة للفرس بعد وفاة المثنى ، وقد ضم إلى هذا الجيش بعض القواد والأدباء والشعراء، أمثال: طليحة بن خويلد، وعمر بن معديكرب، والأشعث بن قيس الكندى.

وتولى آنذاك عرش مملكة الفرس يزدجرد بن شهريار، آخر ملوك الفرس الساسانيين، بعد خلع بوران عن العرش، وجهز جيشا كبيرا لطرد العرب من العراق، وجعل قيادة هذا الجيش لقائده العظيم رستم.

معركة القادسية:

وسار سعد بقواته إلى قرية القادسية، التى كانت تقع جنوب غربى بغداد الحالية وغرب الكوفة، وكان عدد جيش المسلمين لا يزيد على الثمانية آلاف مقاتل، حيث التقى هنالك بجيش الفرس الذى زاد عدده عن الثلاثين ألف مقاتل تتقدمهم أعداد من الفيلة. واستطاع سعد أن يستثير القيادة الفارسية وأن يجبرها على البدء بالقتال. وبالفعل وقع القتال بين الطرفين، واستمر لمدة أربعة أيام متواصلة، وقد سدد المسلمون سهامهم، بصورة مكثفة، إلى جند العدو وبخاصة إلى عيون الفيلة ليشلوا حركتها ويربكوا حركة الفرس. وقد نجحت خطة سعد، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للفرس، وقتل رستم نفسه فى المعركة وقتل عدد كبير من قواته، وهروب باقى الجند الناجين من ميدان المعركة بعد أن تركوا وراءهم الكثير من الزاد والسلاح والأسلاب، وذلك سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م. وعقب هذا الانتصار الكبير انفتحت أبواب العراق للمسلمين وانفتح طريقهم إلى فارس نفسها. وقد فر ملكهم يزدجرد إلى المدائن وهو موقن بنهاية حكمه ونهاية الإمبراطورية الساسانية.

عند ذلك كتب سعد إلى الخليفة عمر يبشره بالنصر والفتح، فكتب إليه عمر أن يتوقف حيث وصلت قواته وعدم متابعة الفرس ومليكهم. كذلك أمره بأن يبتنى عاصمة جديدة فى تلك البلاد تكون دار هجرة للمسلمين وتكون معسكرا لقواتهم، فأنشأ مدينة الكوفة، قرب الضفة الغربية لنهر الفرات سنة ١٦ هـ/ ٦٣٧م، وأسس بها مسجدها الجامع، واختط الناس بها منازلهم. وسرعان ما عمرت الكوفة وتوافد الناس عليها فاتسعت وأصبحت من عواصم الإسلام الكبرى، كما صارت المركز الرئيسى للجيوش العربية فى العراق وما يليها شرقا وشمالا.

موقعة نهاوند:

واصل سعد بن أبى وقاص زحفه على بلاد فارس بعد أن أذن الخليفة له بذلك، فواصلت القوات الإسلامية زحفها داخل أراضى دولة الفرس حتى وصلت إلى عاصمة بلاد الفرس طيسفون (المدائن). وعلى أبواب العاصمة دارت معركة كبيرة بين الفرس والمسلمين بعد حصار لها دام مدة شهرين. وأخيرا نجحت القوات الإسلامية فى اقتحامها، وقبل سقوطها فى يد المسلمين هرب منها الملك يزدجرد إلى نواحى أصفهان.

ولما دخل المسلمــون المدائن اغتنمــوا منها الكثـير من الأموال والـذخائر والتحف التى كانت فى حوزة ملوك آل ساســان. وقد شجع سقوط المدائن فى يد المسلمـين، والى البـحرين العـلاء بن المغيـث الحضـرمى، أن يقوم بغـزو السواحل الفارسـية بناء على توجيه من الخليـفة. فاستولت قـواته على منطقة الأهواز بإقليم خوزستان.

وفى سنة ٢٠ هـ/ ٦٤٠م جمع الملك الفارسى يزدجرد جيشًا كبيرًا قوامه مائة ألف مقاتل عند أصـفهان لمحاربة المسلمين فى معركـة نهائية تكون فاصلة بينه وبين المسلمـين، إما يسـتعـيد بهـا ملك ساسـان أو يقضى على دولتـهم واسمـهم إلى الأبد. وتحرك يزدجرد على رأس هذا الجيش الـكبير من عند أصفـهان وتوقف عند نهاوند فى ناحية الأهواز. وعندما علم عمر بذلك قرر الخروج إلى العراق لقيادة الجيش الإسلامى بنفسـه، ولكنه عاد فأقام «النـعمان بن مقـرن» قائدا للجيش، فتـجمع المسلمون فى البـصرة، ثم خرجوا للقاء الـفرس. وفى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، وعند نهاوند، وقعت معركـة نهاوند الكبرى التى انتصر فيها المسلمون انتصارًا ساحقًا على الفرس، وقد خسر الجيش الفارسى فى هذه المعركة نصف عدده على وجه التـقريب، وفر الباقـون بين جريح وطريد. وقد أطلق كتـاب المسلمين على هذه المعركـة «فتح الفتـوح»؛ لأن المسلمين استـولوا، نتيجـة لها، على ثلاثة أرباع إمبـراطورية فارس وعمت الدعوة الإسلامية معظم بلاد الفرس وانطفأت فيها نيران المجوسية الوثنية.

واتجهت جيوش المسلمين، بعد فتح نهاوند، إلى فتح الأراضى الشرقية لدولة فارس. فسار النعـمان بن مقرن إلى مدينـة همدان وقام بفـتحها، كذلك توجه القائد عبد الله بن بديل إلى مدينة أصفهان وعقـد صلحا مع أميرها على أن يؤدى أهلها الخراج والجزية مـقابل تأمينهم على أموالهم وأنفسهم وأراضـيهم. وقام القائد عروة بـن زيد الطائى سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م بفتح إقليم الرى. وفى نفس العام قام القائد حـذيفة بن النعمان بفتح إقليم أذربيجـان وفرض الخراج والجزية على أهله. وتوجه القائد الأحنف بن قيس التميمى إلى إقليم خراسان، ففتح مدن هرات ونيسابور وسرخس، وأخذ هذا القائد يتـعقب الملك الفارسى يزدجرد الذى أخذ فى التـنقل من بلد لآخر داخل بلاد ما وراء النهر حتى بلغ أرض الصين. ولقـد استمر حال يزدجرد فى التدهور وظل يعيش مـتخفيًا فى البلاد حتى قتل فى خراسان سنة ٣١هـ/ ٦٥١م فى خلافـة عثمان. وبموت يزدجرد انتهت شجرة العائلة الساسانية الفارسية الحاكمة وتمزقت دولة الساسانيين، وبذلك تحققت دعوة رسول الله ﷺ، حين قام مليكهم كسرى أنوشروان بتمزيق كتاب الرسول ﷺ إليه حين أرسل يدعوه إلى الإسلام، فدعا الرسول ﷺ ربه بتمزيق ملك الأكاسرة وقد كان.



وباختفاء حكم الأكاسرة بدأ أهل إيران يدخلون الإسلام بأعداد كبيرة، وعقد رؤساء النواحي الصلح مع المسلمين. ووصل سلطان الإسلام إلى أقصى حدود إيران (فارس) شرقا. وقام والى الكوفة، وهو المغيرة بن شعبة، الذى عينه عمر ابن الخطاب على ما فتح المسلمون من بلاد فارس، بإصدار أمره إلى القائد سراقة بن عمرو بن عبد الرحمن بالتوجه لفتح بلاد الباب (بلاد الترك) وهى الأراضى الشاسعة الواقعة بين فارس والصين، وتقوم فيها الآن أفغانستان وباكستان وبعض الجمهوريات الإسلامية الروسية، أى أن الإسلام بلغ مداه ووصل إلى حدود الصين فى عهد خلافة عمر بن الخطاب.




رسالة النبى ﷺ إلى كسرى



فتوح الشام

كان المسلمون قد شرعوا فى غزو أطراف الشام الجنوبية فى حياة الرسول ﷺ، حيث كانت معركة مؤتة سنة ٨هـ/ ٦٣٠م، ثم تلتها سرية أسامة بن زيد، التى توفى الرسول ﷺ وهى متأهبة للخروج، فأكمل أبو بكر سيرها إلى تخوم البلقاء (شرق الأردن)، وقد حققت هذه الحملة انتصارا على العرب المتنصرة المقيمين فى بادية الشام.

وبعد أن فرغ أبو بكر من حرب الردة أرسل قواته إلى الشام فى نفس الوقت الذى أرسل فيه قواته إلى العراق لنشر الإسلام وتوسعة حدود الدولة التى وضع الرسول ﷺ أساسها. وقد تيسر لأبى بكر سنة١٢هـ/ ٦٣٣م أن يجهز عدة جيوش لغزو الشام، وقد أسند قيادة كل جيش منها لمحارب مسلم شجاع. فجعل يزيد بن أبى سفيان على رأس جيش توجه إلى دمشق، وجعل القائد اليمنى شرحبيل بن حسنة الكندى على جيش وجهته الأردن، وعمرو بن العاص على جيش وجهته فلسطين، وأبو عبيدة بن الجراح على جيش وجهته حمص. وتوجه كل جيش من هذه الجيوش إلى الجهة التى وجه إليها.

وبدأت الاصطدامات الأولى مع قوات الروم، فى وادى عربة بفلسطين، مع جيش عمرو بن العاص. واستطاع جيش عمرو أن ينتصر على قوات الروم التى كانت تعسكر هناك وأن يجبرها على التراجع إلى غزة. وتقابل جيش عمرو مع جيش يزيد واتجه الجيشان سائرين نحو الشمال، إلا أن القائدين فوجئا بمواجهة جيش كبير كان هرقل قيصر الروم، قد حشده شمال فلسطين لوقف زحف القوات العربية فى بلاد الشام. كذلك تحرج موقف القوات الإسلامية بعد ارتداد حاكم دومة الجندل عن محالفة دولة المسلمين وإعلان ولائه للروم. عندئذ كتب عمرو إلى الخليفة يطلب النجدة.

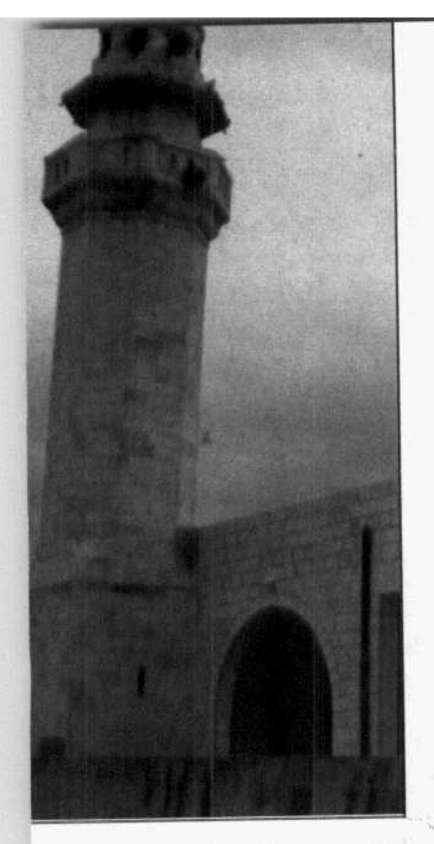
وقد رأى أبو بكر إذ ذاك أن فتح الشام ونجدة القوات الإسلامية المقاتلة هناك تكون لها الأهمية الأولى عن فتح العراق؛ ومن ثم كتب إلى خالد بن الوليد، الذى كان يقاتل فى العراق مع جيش المثنى بن حارثة، بأن ينتقل من العراق إلى الشام لقيادة الجيش الإسلامى هناك وتوصيل النجدة للقوات الإسلامية بالشام. وقد امتثل خالد لأمر الخليفة، وخرج من الحيرة بنصف جيش العراق متجها إلى الشام. وقام خالد بعمل يعد من أعظم الأعمال العسكرية فى التاريخ إذ قطع بادية الشام فى خمسة أيام بماء وزاد قليلين، ووصل سالما بجيشه إلى بصرى جنوبى دمشق، وكانت فيها حامية رومية فقضى عليها دون صعوبة، كذلك استولى على دومة الجندل.

ثم سار خالد، سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م بالجند إلى أجنادين، وهناك اشتبك مع جيش الروم الذى كان يقوده تيودور، أخو هرقل، فى معركة «أجنادين» الشهيرة التى انتهت بانتصار المسلمين وهروب تيودور من ميدان المعركة إلى حمص. وبانتصار المسلمين فى أجنادين أصبحت كل فلسطين فى أيديهم.

وتوفى الخليفة أبو بكر فى تلك الأثناء وتولى الخلافة عمر بن الخطاب، وفى السنة الأولى من خلافة عمر، تركز القتال فى الشام عند منطقة الأردن حيث انتصر المسلمون على الروم عند نيسان ومرج الصفر، وانفتح بذلك طريق دمشق أمامهم فساروا إليها وحاصروها من جميع الجهات، وقد اشترك فى حصارها جميع قادة جيوش المسلمين بالشام، وكانت معركة دمشق بالشام تشبه معركة المدائن بالعراق. ولم تقاوم حامية دمشق كثيرا واستسلمت بعد حصار لها دام ستة أشهر فطلب حاكمها الصلح والأمان فدخلتها القوات الإسلامية بعد أن أعطت أهلها الأمان (سنة ١٤هـ).

وبعد سقوط دمشق ورد أمر الخليفة عمر للقوات المقاتلة بجعل القيادة فى الشام لأبى عبيدة ابن الجراح بدلاً من خالد بن الوليد، فلم يتأثر خالد لذلك بل قبل الأمر عن طيب خاطر أن يقاتل تحت إمرة ابن الجراح كجندى عادى.

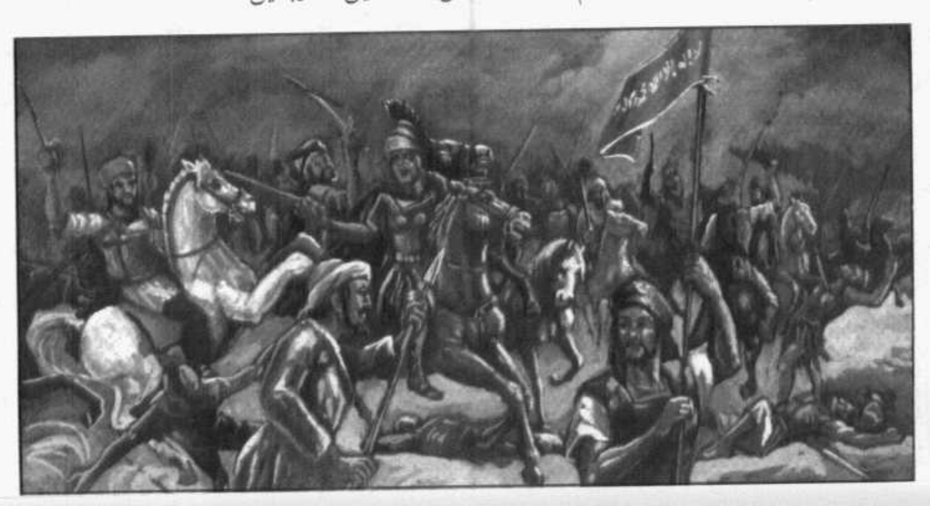




ضريح أبو عبيدة عامر
ابن الجراح - الأردن

معركة اليرموك:

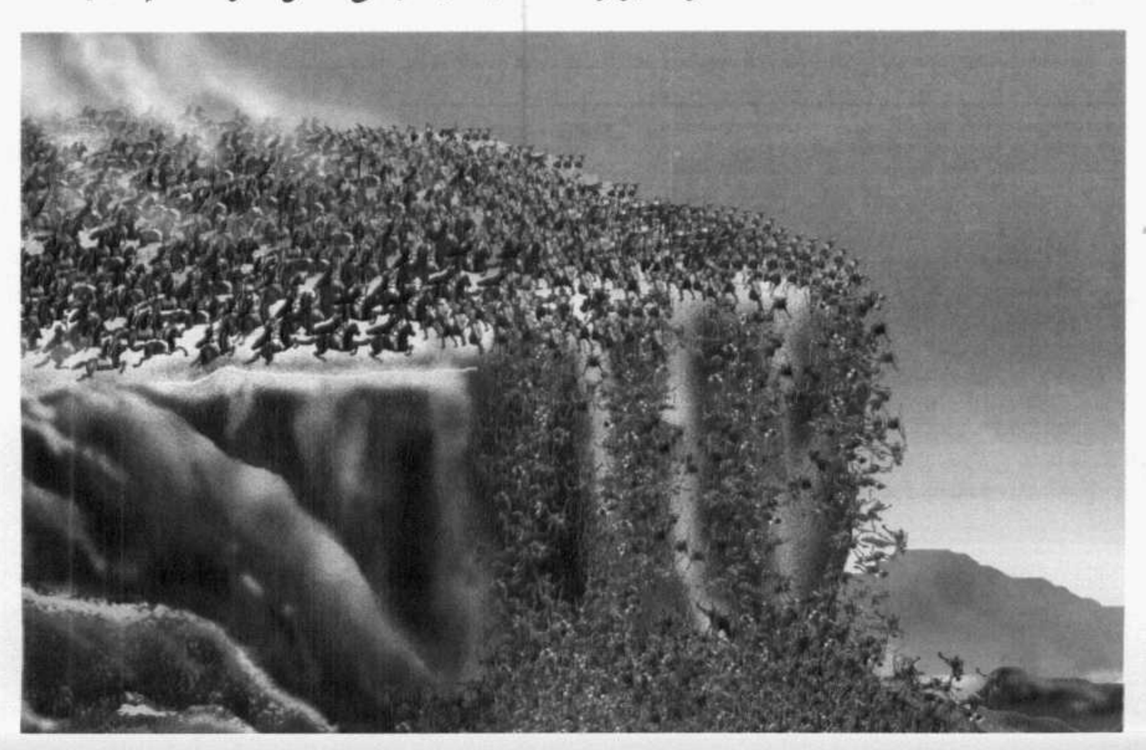
غضب هرقل بسقوط دمشق في يد المسلمين، وصمم على تكوين جيش كبير يوقف به زحف المسلمين على الشام وينتزع به من أيديهم ما استولوا عليه من بلدان. وقد شكل هرقل هذا الجيش من جند الروم وعرب الشام وإقليم الجزيرة وجند أرمينيا، وأراد أن يكون اللقاء مع المسلمين، هذه المرة، حاسمًا ونهائيًا. ورأى المسلمون، بعد ما علموا من أمر جيش هرقل الكبير، الانسحاب من دمشق وتجمع القوات الإسلامية حيث تجمع الروم عند حوض نهر اليرموك. وقد بلغ عدد جيش الروم مائة وأربعين ألفا ولم يجاوز جيش المسلمين الأربعين ألفا.

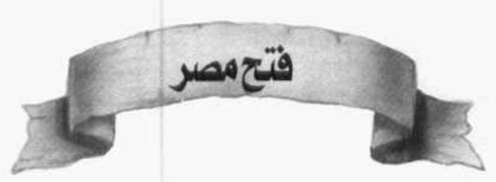


وفى سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، وعند اليرموك، دارت معـركة كبيرة بين الروم والمسلميـن، انتهت بهزيمـة ساحـقة لجيش الروم وبنـصر كبـير للمـسلمين. وتشتـتت، على أثر الهزيمة، قوات الروم، ولاذ من نجـا من الموت بالفرار أو الاستسلام. وكـان هرقل، إمبراطور الروم، مقيما آنذاك بأنطاكـية، فلما بلغه خبر هزيمة جنده قرر الانسحاب من الشام إلى عاصمته القسطنطينية، وقد ودع بلاد الشام، وهو ينسحب منها بقوله عبارته المشهـورة التى سجـل بها التاريـخ تلك الهزيمـة الساحـقـة التى حـلت بالروم: «عـليـك يا سوريـا السلام ونعم البلد هذا للعدو».

واتجهت القوات الإسلامية لإتمام فتح مدن الشام، فتوجه أبو عبيدة ومعه خالد، ففتحـوا اللاذقية وحلب وأنطاكية. واتجه عمرو بن العاص بجيـشه إلى فلسطين ليفتح بيت المقدس، فسار إليها وحاصرها. ولما اشتد حصـاره لها قرر بطريقها (سفرنيوس) وأهلها ألا يسلموا المدينة إلا للخليفة نفسه؛ وذلك ليطمئنوا على مصيـرهم وليضمنوا سلامة كنائسهم. فأرسل عمرو بذلك إلى الخليفـة الذى وافق على الحضور. وخرج عـمر من المدينة المنورة متجـها إلى فلسطين، واجتمع فى الجـابية مع قواده، ثم توجه إلى بيت المقدس، وتسـلمها سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، وأعطى لأهلهـا عهـدا أمنهم فيـه على أموالهم وديانتـهم وأمـاكن عبـادتهم، وسلم لهم كتـاب الصلح. وبسقـوط بيت المقدس فـى يد المسلمين تكون فلسطين والشـام كلها قـد صارت فى يد المسلـمين ودخلت كجزء هام من أجزاء الدولة العربية الإسلامية الكبرى.

معركة اليرموك - كما جاء وصفها فى أطلس الفتوحات الإسلامية





فتح مصر

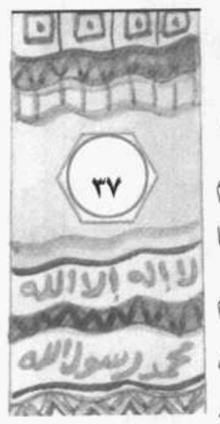


كانت الضرورة الحربية تقتضى من العرب، بعد أن تم لهم فتح بلاد الشام، أن يفتحوا مصر، حتى لا يعاود الروم مهاجمتهم من هذه الناحية التى تقع فى نطاق دولتهم. ولم تخف عن عمرو بن العاص، فاتح فلسطين، تلك الحقيقة وغيرها من المزايا الاقتصادية التى تعود على الدولة الإسلامية من وراء ضم مصر إليها. وقد كان عمرو بن العاص أكثر الناس معرفة بأهمية مصر وغنى مواردها.

ولقد اقترح عمرو بن العاص، فى لقائه مع الخليفة بالجابية، أن يوافقه على السير لفتح مصر. فلم يجبه الخليفة آنذاك على طلبه لانشغاله بفتح الشام، ولم تكن من سياسة الخليفة عمر أن يفتح على المسلمين جبهتين للحرب فى وقت واحد. ولما أبدى الخليفة تخوفه على المسلمين من هذا الفتح، قام عمرو بتهوينه عليه والتقليل من شأن قوة الروم، فعهد إليه بالفتح. وقد عقد عمر لعمرو قيادة جيش قوامه أربعة آلاف مقاتل كلهم من عرب القحطانية اليمنية.

فسار عمرو بجيشه من قيسارية بفلسطين فى المحرم سنة ١٩هـ/ ٦٣٩م، قاصدًا مصر، ولما وصل العريش انضم إلى جيشه رجال من قبائل لخم وراشدة اليمنيتين، وكانت هاتان القبيلتان قد توطنتا فى حوف العريش قبل الإسلام، مما سهل فتح مدينة العريش التى لم تكن بها حامية رومانية.

وبعد سقوط العريش تابع الجيش الإسلامى سيره إلى الفرما (بورسعيد الحالية) مخترقا الطريق الذى يسلكه المهاجرون والفاتحون والتجار والحجاج منذ أقدم العصور. وقد كانت الفرما حصينة، وهى أول حصن من سلسلة حصون الروم على الساحل المصرى،وهى مفتاح مصر ومدخلها من ناحية الشرق، فحاصرها عمرو بقواته لمدة شهر تم سقطت فى يده، ومضى الجيش الإسلامى فى أرض مصر حتى وصل بلبيس (بمحافظة الشرقية)، عاصمة إقليم الحوف. وقد التقى الجيش الإسلامى، عند بلبيس، بحامية عسكرية للروم، ودار قتال بينهما انتهى بانتصار المسلمين ودخولهم المدينة واستيلائهم عليها.

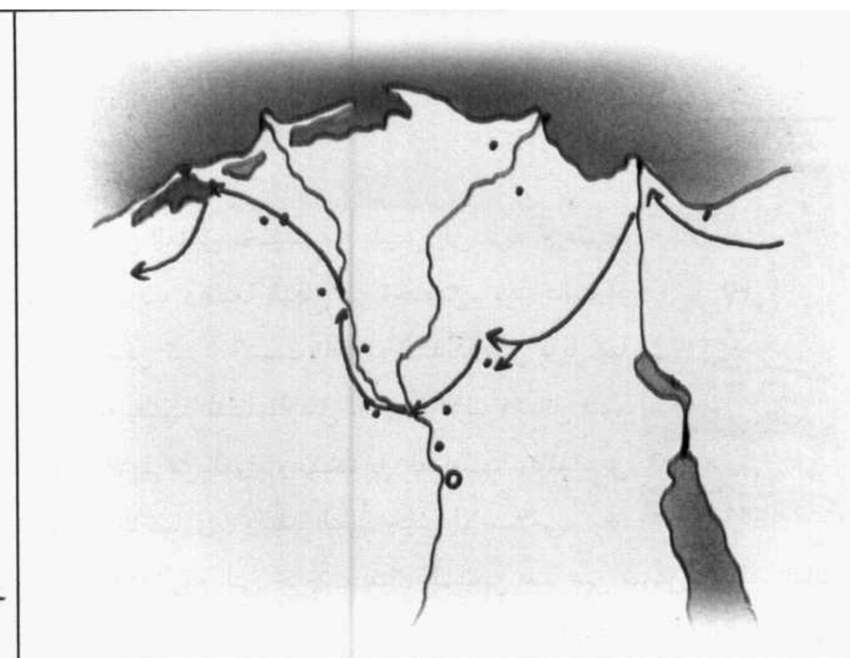


معركة عين شمس:

وبعد ذلك سار عمرو بن العاص بجيشه من بلبيس إلى قرية أم دنين، على النيل شمالى حصن بابليون، وطليعة الدفاع عن الحصن. وقد كانت أم دنين حصينة ويجاورها مرفأ سفن كبير. وبسبب المقاومة الشديدة التى قوبل بها جيش عمرو، أرسل للخليفة يطلب المدد، فأرسل له أربعة آلاف مقاتل فيهم عدد من الصحابة، منهم: الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت، والمقداد بن الأسود، ومسلمة بن مخلد الأنصارى. ولقد التقى الجيش الإسلامى، بعد وصول هذا المدد إليه، مع قوات الروم التى خرجت لقتال المسلمين عند عين شمس، بقيادة القائد الرومانى تيودور. وانتصرت القوات الإسلامية على الروم فى هذه المعركة واستولت، بعدها، على أم دنين وعين شمس. ثم تقدمت، بعد ذلك القوات الإسلامية، لفتح حصن بابليون، آخر قلاع الروم الحصينة بأرض مصر، ومقر إقامة المقوقس (قيرس) نائب إمبراطور الروم فى حكم مصر. وكان الحصن منيعا، وقد أحاطه الروم بخندق مملوء بالماء، فحاصره المسلمون من جميع نواحيه مدة سبعة أشهر.

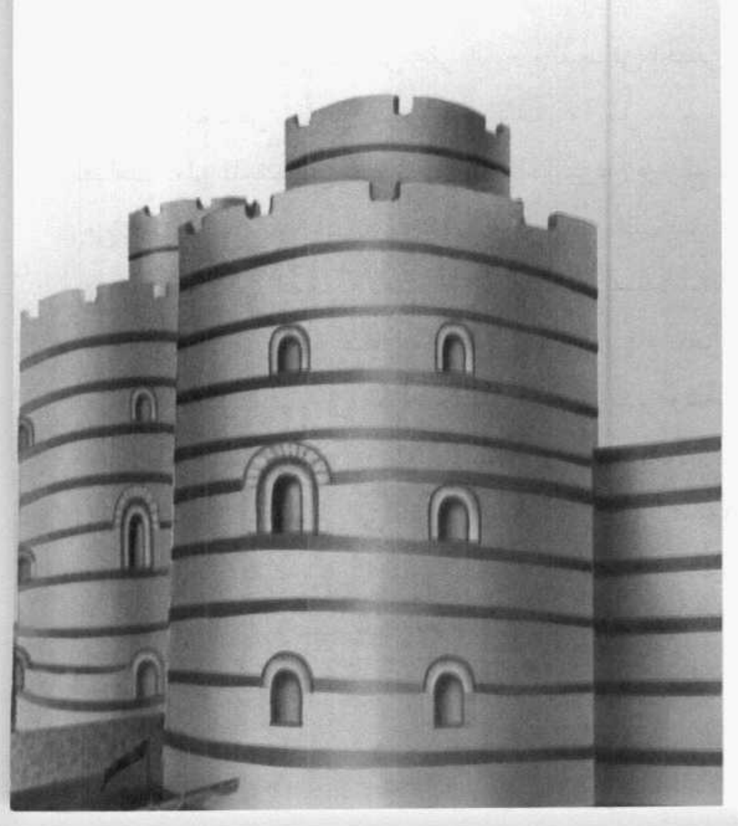
دخول الحصن:

ولما اشتد حصار المسلمين على الروم والقبط فى الحصن رأى المقوقس أن يطلب الصلح من عمرو بن العاص، فوافق عمرو على ذلك. وأرسل عمرو قائده الصحابى الجليل عبادة بن الصامت يعلن للمقوقس شروط الفاتحين المسلمين، وهى لم تختلف عن شروطهم فى أى فتح، وهى: إما الإسلام أو الجزية أو القتال. ولما عرض المقوقس على ملك الروم هرقل هذه الشروط رفضها وطلب من المقوقس الاستمرار فى القتال، ففشلت بذلك تدابير الصلح. وواصل المسلمون حصارهم للحصن، ولما ضاقوا من طول حصاره، قام بعض الفدائيين المسلمين، وعلى رأسهم الصحابى الجليل الزبير بن العوام، بتسلق أسوار الحصن وفتحه وهم يكبرون. فدخل الرعب فى قلوب جند الحصن وصاروا يقاتلون المسلمين وهم خائفون. ولما رأى المقوقس أنه لا قبل له بمقاومة هؤلاء المحاربين المستبسلين فى القتال، أرسل إلى عمرو، ثانية، يطلب الصلح. فوافقه عمرو على الصلح مقابل دفع الجزية. وانتهى الصلح بين الطرفين بتسليم حصن بابليون للمسلمين مقابل انسحاب جيش الروم منه خلال أيام، لا يحملون معهم إلا أقواتهم، مع التعهد بدفع الجزية للمسلمين، وبالفعل تم تسلم المسلمين للحصن، مستهل المحرم ٢٠هـ/ أبريل ٦٤٠م.



خريطة فتح مصر

وبعد ذلك أرسل عمرو بن العاص حملة من جيشه لفتح الفيوم جعل قيادتها لربيعة الصدفى، وحملة لفتح الصعيد الأوسط بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وحملة ثالثة لفتح جنوب مصر بقيادة عقبة بن عامر الجهنى.



حصن بابليون

وكان على المسلمين، بعد ذلك، أن يتجهزوا لفتح الإسكندرية، عاصمة مصر الرومانية، والاستيلاء عليها بعد أن انسحبت القوات الرومية إليها. وقد أخذ الروم يحصنون المدينة براً وبحرًا حتى لا تسقط فى يد المسلمين، وهم يعلمون أن معنى سقوط العاصمة فى أيدى المسلمين زوال سيادتهم من على مصر نهائيا. وقد بعث عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر يستأذنه فى فتح الإسكندرية فأذن له، فسار إليها فى ربيع الأول سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م. ولما وصلت

قوات المسلمين إلى الإسكندرية، بعد التغلب على الجيوش الصغيرة التي قابلتها في طريقها إليها، قامت بحصارها لمدة أربعة أشهر، توفى هرقل إمبراطور الروم أثناءها. فعمل خلفاؤه على إنهاء الحرب في مصر للتفرغ لحل مشاكلهم الداخلية داخل الإمبراطورية.

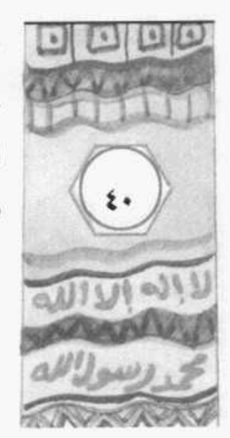
وتحقيقا لذلك، فقد أمرت الإمبراطورة مارتينة، التي تولت الوصاية على العرش بعد موت هرقل، المقوقس بالعودة إلى مصر وطلب الصلح النهائي مع عمرو بن العاص والانسحاب من مصر نهائيا. فجاء المقوقس لعمرو، الذي رحب به، وعقدت بين الطرفين معاهدة، عرفت بمعاهدة الإسكندرية، تم بمقتضاها جلاء الروم عن الإسكندرية.

ولم تنته سنة ٢١هـ/ ٦٤١م حتى أصبحت مصر كلها في قبضة العرب، وولاية من ولايات الدولة العربية الإسلامية الكبرى. ولقد اختط عمرو بن العاص عاصمة جديدة لمصر هي الفسطاط، بدلا من الإسكندرية، قرب حصن بابليون (بمصر القديمة). كذلك ابتنى أول جامع له فيها. وهو الشهير بجامع عمرو، أو الجامع العتيق. وبذلك دخلت مصر طورا جديدا من أطوار تاريخها في عهد خلافة عمر، وهو الطور العربي الإسلامي.

مئذنة جامع عمرو بن العاص



لما استقر للعرب فتح مصر، فكروا في تأمينها من ناحية الغرب، بعد أن أمنوها من ناحية الشرق، حتى لا يهاجمها الروم من هذه الناحية التي كانت تمثل جزءا من مستعمراتهم. وفي سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م توجه عمرو بن العاص إلى إقليم برقة (الجزء الشرقي من ليبيا الحالية)، واستولى عليه بعد أن هزم الحامية الرومية الصغيرة التي كانت هناك. وفرض عمرو الجزية على أهل برقة،



ثم تابع سيره بجيشه غربًا حتى وصل إلى مـدينة طرابلس الغرب التى افتتحها عنوة بعد أن تغلب على قوات الروم بها. ثم كتب عمرو إلى عمر يطلب منه الإذن له بفتح باقى الساحل الإفـريقى الشمالى، إلا أن الخليفة عـمر نهاه عن ذلك وطلب منه العودة إلى مصر بجنوده، فامتثل لأمره وعاد إليها.



تنظيم أمور الدولة

لقـد كان عـمر رئيسًـا للدولة الإسـلاميـة وخـليـفة المسلمـين، وهو أول من دعى بأميـر المؤمنين. ويعتبر عمر المؤسس الفعلى للدولة العربية الإسلامية التى وضع أساسها رسول الله ﷺ، نظرا لطول مدة حكمـه واتساع الدولة فى عهـده اتساعا لم يقم لهـا فى عهد الرسول ﷺ وعـهد الصديق. وينسب لعـمر وضع أسس التنظيم الإدارى والمالى والقضائى والعـسكرى لدولة الإسلام سنة ١٧هـ.

وقد قام عمر بتقسيم الدولة إلى أقسام إدارية كبرى عدة، وهى:

ولايات الحجاز ونجد وشبه الجزيرة، وولايات فارس والعراق، وولايات بلاد ما وراء النهر، وولايات الشام، وولايات مصـر والمغرب. وقد قسم عمر ولايات فارس والعـراق إلى ثلاثة أقسام جعل قسما منها لخراسان وعاصمته مرو، وقسمًا للعراق الشمالى وحاضرته الكوفة، وقسمًا للعراق الجنوبى وحاضـرته البصرة. كذلك قـسم ولايات الشام إلى قسمـين: قسم جعل قاعـدته حمص والقسم الثانى قاعدته دمشق. وجعل فلسطين قسمًا مـستقلاً بذاته. أما ولايات مصر والمغرب فقد قسمها إلى ثلاث ولايات: مصر العليا ومصر السفلى وغرب مصر وليبيا.

وقد جعل عمـر على كل ولاية واليا تشدد فى اختياره، كـما جعل إلى جانب كل والٍ فى ولايته عاملا للخراج مسئولاً عن الأمور المالية ومستقلا فى إدارته عن الوالى. وكان عمر، فى كل موسم حج، يجـمع ولاته وعمال خراجـه ويقوم بمحاسـبتهم أشد الحـساب، ومن كان يجد فـيه تقصيرا كان لا يتردد فى عزله على الفور.

والخليـفة عـمـر بن الخطاب هو أول من دَوَّن الدواوين فى الدولة الإسـلامـية، نقـلا عن الفرس، وذلك بسبب اتساع الدولة فى عهده وكثرة مواردها والحاجة لضبط هذه الموارد والاستفادة منها، فأنشأ أول ما أنشأ ديوانَى العطاء والجند.

وكان المال فى دولـته قد وصل إلى الغـاية حتى أنشـأ بيت المال ووضع ديوانى العطاء والجند، يقول صاحب الفخرى فى هذا الأمر ما نصه:

«فلما كانت سنة خـمس عشرة من الهجرة وهى خلافـة عمر، رأى أن الفـتوح قـد توالت وأن كنوز الأكـاسـرة قد ملكت وأن الحـمـول من الذهب والفضـة والجواهر النفيسـة والثياب الفاخـرة قد تتابعت، فرأى التـوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيـهم ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك. وكان بالمدينة بعض مرازبة الفرس. فلما رأى حيرة عمر قال له: يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئًا يسمونه ديوانا، جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه شىء، وأهل العطاء مرتبـون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل. فـتنبه عمر، رضى الله عنه، وقال: صفه لى، فوصفه المرزبان. فـفطن عمر لذلك ودَوَّن الدواوين وفرض العطاء، فجعل لكل واحد من المسلمين نوعًا مقررًا، وفرض لزوجات الرسول ﷺ، ولسراريه وأقاربه حتى استنفد الحاصل ولم يدخـر فى بيت المال شيئا... ثم إن عـمر رأى أن يجعل العطاء على حـسب السبق إلى الإسلام وإلى نصرة الرسول ﷺ فى مواطن حروبه، ثم استخدم الكتاب فى الدواوين وأمرهم بترتيب الطبقـات وضبط العطاء... وقال لهم: ابدأوا بالعبـاس عم الرسول ﷺ وببنى هاشم ثم بمن بعدهم طبقـة بعد طبقة وضعوا آل الخطاب حـيث وضعهم الله عز وجل. فاعتـمد ما أشار به وجرى الأمر على ذلك مدة خلافته وخلافة عثمان رضى الله عنهما».

ولقد جعل عمر لـعموم المسلمين عطاء ثابتا من عائد أموال الفتـوح والخيرات التى تدفقت على الدولة الإسلامية بسببها جعل اختصاصه ديوان العطاء.

أما ديوان الجند، فقد رصده عمر لتسـجيل أسماء الجنود وأسرهم ورصد أعطيات ثابتة لهم مقـابل تفرغـهم للقتال. وقـد اقتـصر الرصد فى هذا الديـوان على الجند العرب فقـط حتى سنة ٢١٨هـ.

والخليفة عمر هو أول من وضع التأريخ بعام الهجرة، وضعه فى السنة السابعة عشرة، وفى هذه السنة زاد الخليفة فى توسعة المسجد النبوى بالمدينة المنورة.

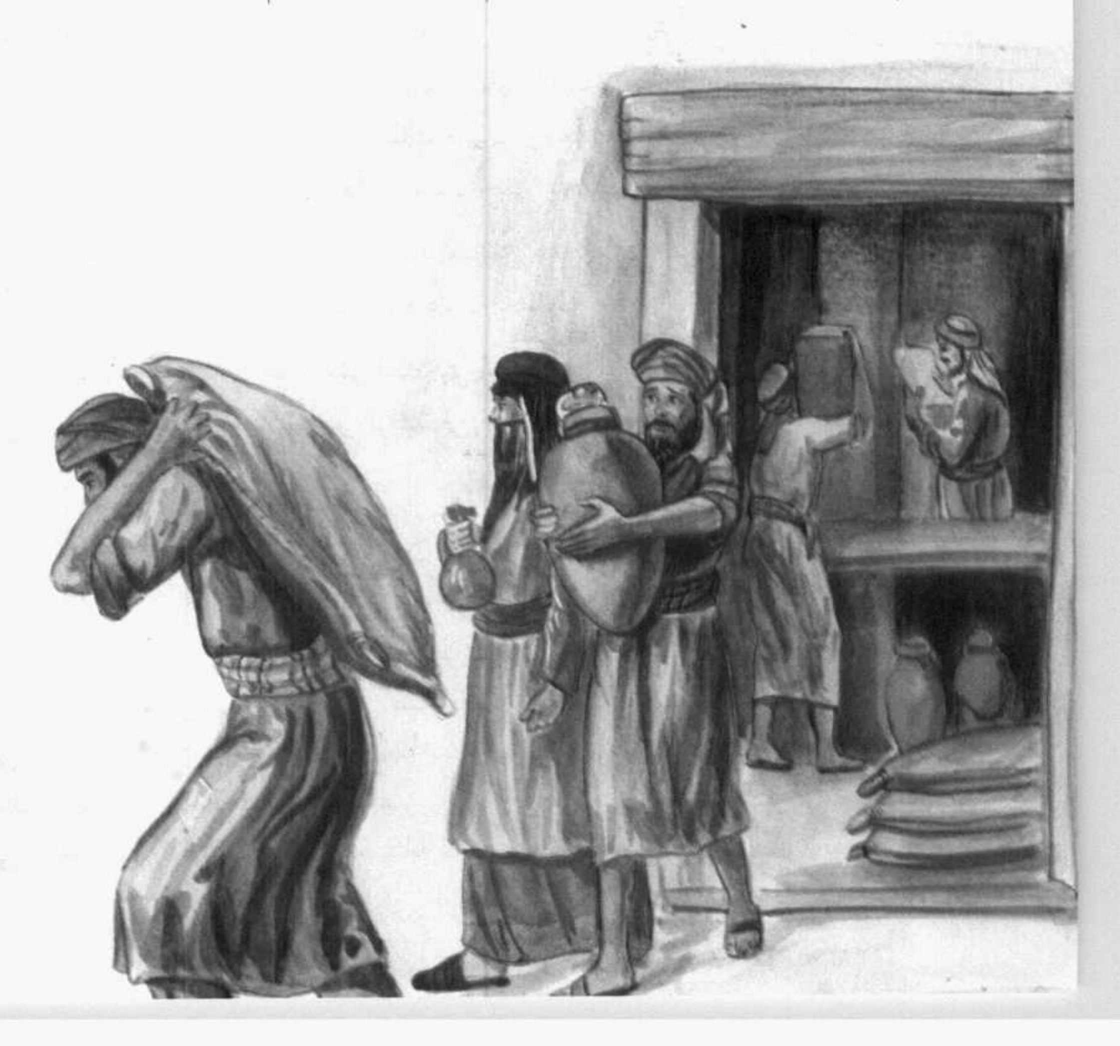
والخليفـة عمـر أول من طبق النظام القضائـى على نطاق العالم الإسلامـى، فعين قـضاة، ينوبون عنه، فى الفصل بين الناس وفض منـازعاتهم وحل مشاكلهم. ويوسع عـمر دائرة القـضاء لتغطى رقعـة الدولة الإسلامية جمـيعها بعد اتساعـها فى عهده، فولى أبا الدرداء قـضاء الكوفة، وعثمان بن قيس بن أبى العـاص قضاء مصر وأبا موسى الأشعرى قضـاء البصرة، وقد كتب لأبى موسى كتـابًا حين ولاه أمر القضـاء يعد بمثابة لائحة داخليـة يعمل القضاة بهـا. وقد بيَّن فى هذا

الكتاب القواعد التى يجب على القاضى أن يرتكز عليها حين يتصدر للقضاء. وقد ظل هذا الكتاب دستورًا للقضاء فى الإسلام سار على نهجه القضاة المسلمون عصورًا طويلة.

وكان الخليفة عمر أول من باشر وظيفة المحتسب من الخلفاء، وحذا بقية الخلفاء حذوه فى هذا الأمر.

وفى سنة ١٨هـ، وهى السنة الخامسة من خلافة عمر، كان عام الرمادة، الذى أصاب الناس فيه أزمة جفاف شديدة، وقع بسببها طاعون عمواس الذى مات فيه خمسون ألفا منهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وغيرهم من الصحابة.

وكان عمر، رضى الله عنه، ملازمًا للحج فى سنى خلافته، وكان من سيرته أن يأخذ عماله بموافاته كل سنة فى موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية ويحجز عنهم الظلم ويتعرف أحوالهم عن قرب، وليكون للرعية وقت معلوم ينهون إليه شكاواهم.





مسجد الرسول الكريم ﷺ بالمدينة المنورة

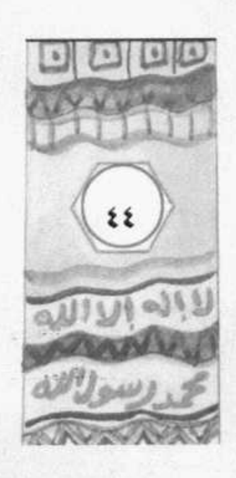
ولقد ضرب عمر مثلاً أعلى للحاكم المسلم كيف ينبغى أن يكون، وقد قال عنه الجاحظ: «رحم الله أبا بكر فقد أتعب من بعده. فلما مات عمر قال الناس: رحم الله أبا بكر وعمر فقد أتعبا من جاء بعدهما» ومعنى ذلك أنهما ضربا للناس مثلاً أعلى للحاكم المسلم يصعب على غيرهما الوصول إليه.

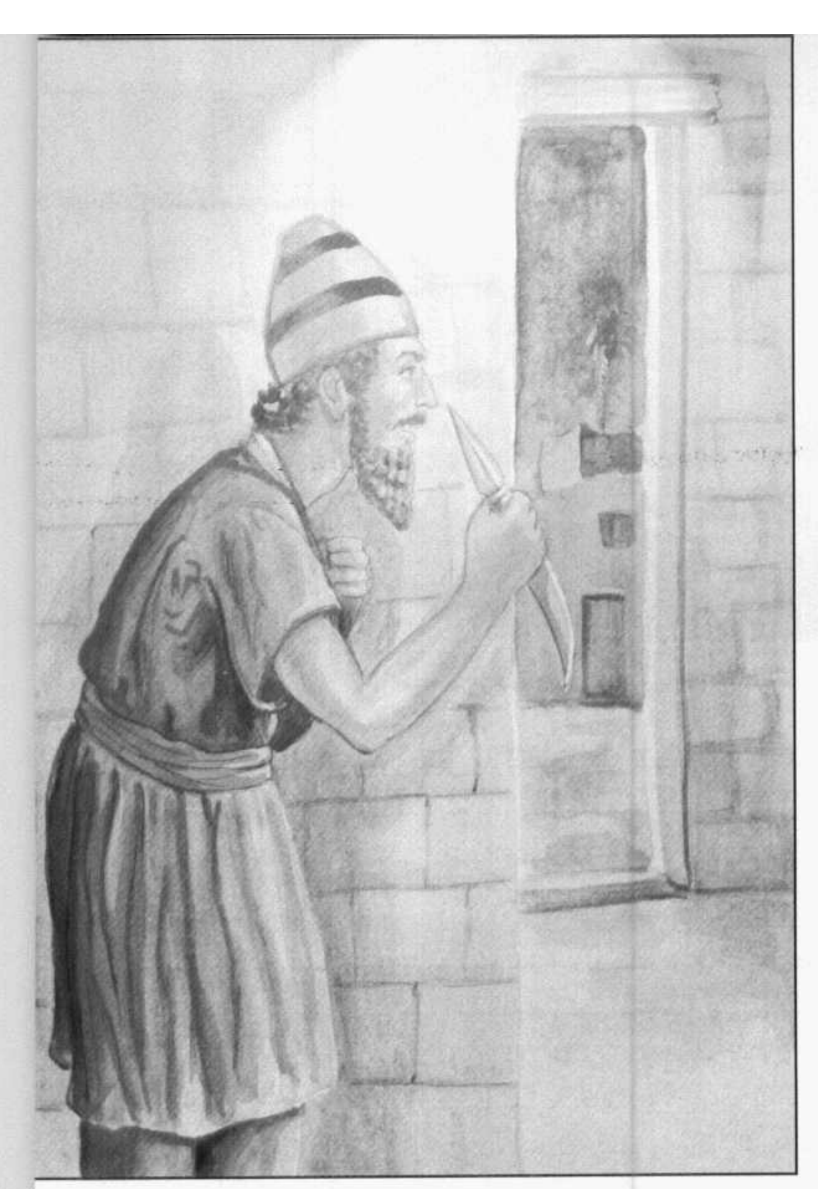
ولقد هاب الناس عمر هيبة شديدة، لأنه كان لا ينظر إلا لصالح الإسلام والمسلمين وكان يقتدى برسول الله ﷺ فى كل أعماله، وكان حريصا على صالح المسلمين، وكان عادلاً كل العدل لا تأخذه فى الله لومة لائم، وكان عالمًا واسع العلم بشئون الدين والدنيا، وكان دائبًا فى عمله، وكان تواضعه وزهده أكثر ما يميزه، فلقد روى عنه أنه لما قدم الشام لقيه الجنود وعليه عمامة وقد خلع خفيه وهو يخوض الماء آخذا بزمام راحلته وخفاه تحت إبطه، فقالوا له: «يا أمير المؤمنين، الآن تلقاك الأمراء وبطارق الشام وأنت هكذا؟» فقال: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله».



وفاته

وبينما كان عمر يدير أمر دولة الإسلام بالعدل والحزم والجد والنشاط، ويضع النظم لدولة الإسلام التى كانت قد شكلت إمبراطورية كبرى حدودها معظم بلاد العالم القديم، فاجأه وهو يصلى الفجر يوم الأربعاء ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣هـ/ أكتوبر ٦٤٤م، شاب مجوسى يدعى أبو لؤلؤة فيروز، وهو مولى للمغيرة بن شعبة وضربه بخنجر مسموم ضربات قاتلة، وبعد أن طُعن حمل إلى داره فظل أياماً يحاولون علاجه دون جدوى إذ إن حالته ساءت ثم قضى نحبه رحمة الله عليه.





ولقد روى ابن سعد فى طبقاته قصة مقتل عمر بقوله:

«كان عمر، رضى الله عنه، لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة اابن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلامًا سبيًا عنده جملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول: إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس، إنه حداد ونقاش ونجار، فأذن له أن يرسله إلى المدينة، وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر. فجاء إلى عمر يشتكى إليه شدة الخراج، فقال له عمر: ما خراجك بكثير، فانصرف ساخطًا يتذمر. فلبث عمر ليالى ثم دعاه فقال له: ألم أخبر أنك تقول: «لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح»، فالتفت إلى عمر عابسا وقال: «لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها»، فلما ولى قال عمر لأصحابه: أوعدنى العبد آنفا. ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن بزاوية من زوايا المسجد فى الغلس، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات» وقد قيل إنه طعن معه اثنى عشر رجلا مات منهم ستة، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبًا، فلما اغتم فيه قتل نفسه. وحمل عمر إلى أهله، وكادت الشمس تطلع، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين.

وقال عمر: الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله، انظر ما علَّى من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوها، فقال: إنْ وفىَّ مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فاسأل فى بنى عدى، فإن لم تف أموالهم فاسأل فى قريش، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة، فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه، فذهب إليها، فقالت: كنت أريد المكان لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى، فأتى عبد الله فقال: قد أذنت فحمد الله تعالى. ودفن يوم الأحد مستهل المحرم وصلى عليه صهيب فى المسجد.

وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال، وكان يحج كل عام غير سنتين متواليتين. واختلف فى سنه يوم مات، والأرجح أنه ثلاث وستون كسن النبى ﷺ وأبى بكر. وكان له ثلاثة عشر ولدا، تسع بنين وأربع بنات، وأكبر أبنائه عبد الله ويكنى بأبى عبد الرحمن، وأكبر بناته حفصة، زوج النبى ﷺ.

ولقد سئل عمر، قبل وفاته، فى أن يستخلف على المسلمين خليفة من بعده، مثلما فعل أبو بكر، فاختار ستة من كبار الصحابة ليختاروا واحدا من بينهم للخلافة. وهؤلاء الستة هم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وعبدالرحمن بن عوف.

وأوصى بأن يكون معهم، وقت الاختيار، عبد الله ابنه، دون أن يكون له الحق فى أن يختار للخلافة. وقال: «أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا: الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأنصار خيرا فإنهم درع الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأوصيه بالأعراب خيرًا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، وأن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة نبيه ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم».



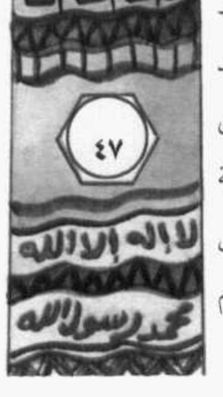
القسم الثالث
ذو النورين (عثمان بن عفان)

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشى، الأموى. ولد فى السنة السادسة بعد عام الفيل، وأسلم على يد الصديق، وهاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة. وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل النبوة وماتت عنده فى ليالى غزوة بدر، فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن من رسول الله ﷺ. وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة فزوَّجه رسول الله ﷺ بعدها أختها أم كلثوم، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة، وسمى بذى النورين لزواجه ببنتى النبى. وهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المبشرين من رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن. ولقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة فى غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان. وهو الذى جهز جيش العسرة فى غزوة تبوك بألف بعير وسبعين فرسا، وهو الذى اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم من ماله ووهبها للمسلمين.



مبايعته بالخلافة

بويع عثمان بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال، وكان الستة الذين رشحهم عمر ليختار المسلمون منهم واحدا للخلافة قد فوضوا الأمر لتدبير عبد الرحمن بن عوف الذى تنازل عن حقه فيها، وأخذ فى مشاورة الناس فى أمر من يتولى خلافتهم من الخمسة الآخرين المرشحين للخلافة، وروى أن الناس كانوا يجتمعون فى تلك الأيام إلى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه فلا يخلو به رجل ذو رأى فيعدل بعثمان أحدا، ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله وأثنى عليه، وقال فى كلامه: إنى رأيت الناس لا يرضون إلا بعثمان خليفة عليهم. ثم أخذ بيد عثمان وقال: نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة.



وكانت سن عثمان يوم بويع بالخلافة تسعا وستين سنة، ولما تولى أحاط به أبناء بيته، وكان فيهم شباب كثيرون لهم ذكاء وقدره وخبرة، وكان عمر قد ولى بعضهم الولايات الكبيرة مثل يزيد بن أبى سفيان، أخى معاوية، الذى شارك فى فتح الشام ثم أقامه عمر واليا عليها، ولما مات يزيد أقام عمر معاوية أخاه واليًا على الشام، وبرغم كفاءة هؤلاء الأمويين الذين ولاهم عثمان على الولايات إلا أن المسلمين لم يرضوا عن ذلك واتهموه بمحاباة أهله وإيثارهم على غيرهم ممن يتفوقون عليهم.



الفتوح أيام عثمان

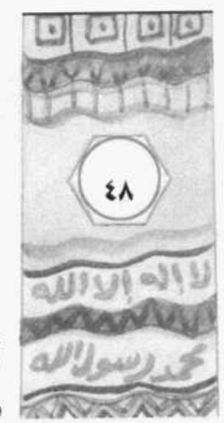
ولقد استمرت الفتوح فى عهد عثمان كما كانت فى أيام عمر، ففى أيامه فتحت بلاد التركستان فى منطقة ما وراء النهر، ووصلت قواته إلى حدود الصين. وفى عهد خلافته فتح بلاد المغرب، وكان فتحها على يد قائده عبد الله بن سعد بن أبى السرح، الذى سار سنة ٢٧ هـ/ ٦٤٨م على رأس جيش كبير لفتح إفريقيا (تونس الحالية)، وقد ضم هذا الجيش عددًا كبيرًا من شباب الصحابة منهم سبعة تسموا باسم عبد الله، فسمى الجيش بجيش العبادلة، وقد تمكن هذا الجيش من الانتصار على قوات الروم هناك فى معركة سبيطلة.

ثم وجه ابن أبى السرح جيشًا إلى جنوب مصر لفتح بلاد النوبة وتأمين حدود مصر الجنوبية وانتصر على النوبيين وعقد معهم اتفاق «البقط».

وفى عهد عثمان أنشئ أول أسطول عربى، قام معاوية به بغزو جزيرتى قبرص ورودس فى البحر المتوسط. كذلك نجح هذا الأسطول فى إيقاع الهزيمة بأسطول الروم فى موضع قرب شواطئ آسيا الصغرى الجنوبية فى موقعة عرفت بذات الصوارى سنة ٣٤هـ / ٦٥٥م لكثرة صوارى السفن التى تشابكت فى هذه المعركة.



صورة من المصاحف الأولى فى الإسلام





وقعت أحـداث هذه الفتنة فى أواخـر عهد خـلافة عثـمان، وتطورت أحداثهـا حتى انتهت بمـصرع أول خليفـة من خلفاء المسلميـن بسبب الحكم. ولقد كانت جذور هذه الفتنة كامنة فى باطن نفـسية العرب من قبل الإسلام، ولم تظهـر على السطح إلا فى خلافـة عثـمان، أو بمعنى أصح عـند اختـيار عثمـان خليفة دون اختيـار على بن أبى طالب للخلافة، ولقد رأى الـهاشميون فى هذا الاخـتيار تجاوزًا لحقـهم فى الحكم وانحيازًا لمنافسيهم الأمـويين. لذا أوجدت هذه النتيجة مـعارضة من بنى هاشم من أول الأمر، وأذكى هذا الاختيار روح التنافس القديم الذى كان بين بنى هاشم وبنى أمية على السيادة والزعامة فى مكة.

ولقد جاء اختيـار عثمان الأموى للخلافة، فرصة طالما انتـظرها الأمويون فى إحراز السيادة والزعامـة على الهاشـميين. وقد كـان عثمـان فى حاجة لخـبرة بعض رجال الأمـويين فى الحكم والإدارة ليكونوا عونًا له فى حكم الدولة، وقد أنس منهم الإخلاص والمعونة فعينهم ولاة وحكاما وقوادًا؛ الأمر الذى صبغ حكومته بالصبغة الأموية.

وكان عثـمان قد قام بعزل بعض ولاة البلدان الذين كـانوا ولاة فيها على عهد عـمر بسبب وقوع بعض الأحداث فيهـا، فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعـين مكانه سعد بن أبى وقاص، ثم عزل الولـيد بن عقـبة بن أبى مـعيط، حـين تأذى الناس من حكمه، وعـين مكانه سعـيد بن العاص. أما البصرة، فقد كان أبو موسى الأشعرى واليًا عليها من قبل عمر بن الخطاب، وقد ظل واليًا عليهـا مدة ست سنوات بعد وفاة عـمر فى خلافة عثـمان، ثم قام عثمـان بعزله منها وولى مكانه ابن خاله عبد الله بن عامر. وكانت ولاية الأردن ودمشق قد اجتمعت لمعاوية بن أبى سفيان فى عهد عمـر، فلما ولى عثمان الخلافة جـعله أميرا عليها ثم ضم إليهمـا مدن حمص وقنسرين وبلاد فلسطين، وبذلك أصبح معاوية واليًا على كل الشام بعد سنتين من تولى عثمان أمر الخلافة، وكان يلى مصر عمرو بن العاص، فأبقاه عثمان واليًا عليها مدة عام واحد ثم قام بعزله عنها وتولية عبد الله بن سعد بن أبى السرح، أخيه فى الرضاعة عليها.

وهكذا نرى بنى أمية يستأثرون بالنفوذ والسلطان فى خـلافة عثمان، وبرغم إثبات جدارتهم فى الحكم لتـمرسـهم وطول خـبرتهم فـيه إلا أن وقـوع بعض الأحـداث فى الأمصـار أدى إلى

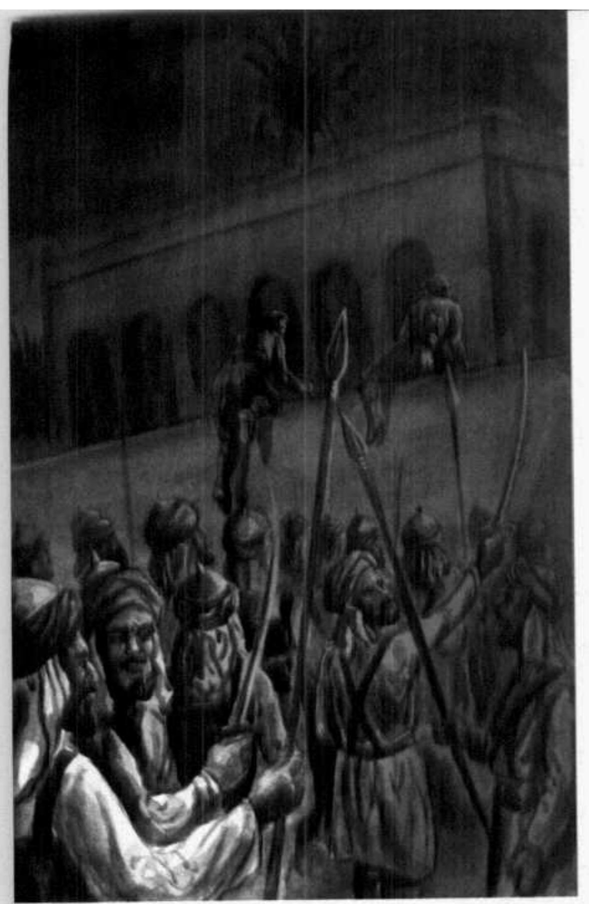
معـارضتهم والـثورة عليهم واتهـام الخليفـة باصطناع أقربائه والاستنـاد عليهم واستـبدادهم فى البـلاد التى تولوا أمرها وظلمـهم لأهلها؛ فـوقعت فى هذه الأمصـار الفتنة التى عرفـت بالفتنة الكبرى والتى انتـهت بالثورة على الخليـفة وانتهت بقتله.

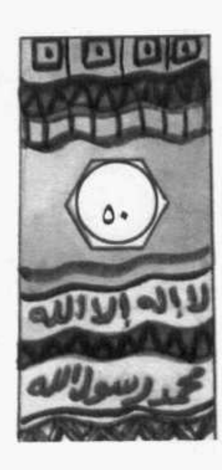
وفى سنة ٣٥ هـ/ ٦٥٥م أقـبلت جماعـات كبيـرة من أمصـار الكوفة والبصرة ومصر، لتسأل الخـليفة فى المدينة عن بعض الأمور الخاصة بهم ولرفع شكاياتهم إليه من نوابه وإطلاعـه على المخالفات التى ارتكبـوها فى الأمصار. وتطور الأمر عند التقاء هـؤلاء الثوار مع الخليفة إلى شبه محـاكمة له واتهام. وقد وجهوا للخليفـة ذاته بعض الاتهامات التى تمس شخصه قام بالرد عليهـا وتبرئة ساحته. لكن النفوس لم تهـدأ، والذين أشعلوا نار الشـورة لم يريدوا لها أن تنطفئ حتى تـقضى على كل شىء وحتى يحققوا ما خرجوا من أمصارهم من أجله.

وبعد انقـضاء موسم الحج زاد الهـياج واشتدت المناقـشات بين الخليفـة وهؤلاء الساخطين وأفلت من الخليفة الزمام؛ ذلك لأن المدينة العاصمة كانت خالية من القوات التى تستطيع أن تحفظ للخلافة هيبتها، وأن القوات كلها كانت فى الأقاليم ومنها ما كان فى خارج البلاد للجهاد.

وتطور الأمر إلى محـاصرة الخليفة فى بيـته ومنع الزاد والطعام عنه، وفى الثـامن عشر من ذى الحجـة سنة ٣٥ هـ/ ٦٥٦م اقتحم بعـضهم الدار وقتـلوا الخليفة عـثمان ظلمًـا وعدوانًا وهو جـالس يقرأ فى مـصـحفـه وهو صـائم ولم يكن من أحـد يدافع عنه سوى زوجتـه نائلة بنت الفرافصة، التى اتقت سيف أحد المهاجمين بيـدها فقطع السيف أصابعها. ولقد سمى ما وقع فى هذا اليـوم من حدث مـفجع أليم «بيـوم الدار»، وهو يوم، بدون شك، نحس وشـؤم على دولة المسلمين؛ لأن فيه فتحت أبواب الفتنة التى لم يكن لها بعد ذلك أن تغلق.

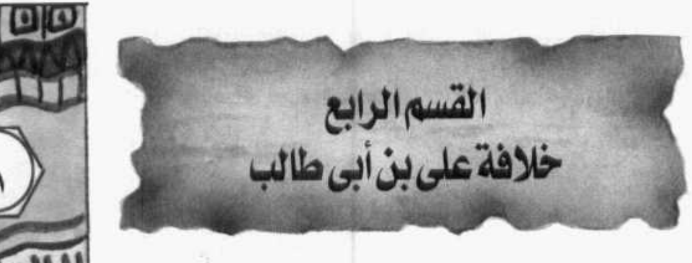
وقد كان قتل عثمان يوم الجمـعة ١٨ ذى الحجة، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى البقيع، وكان له يوم قـتل اثنتان وثمانون سنة وكانت ولايته اثنتـا عشرة سنة، وكان له من الأولاد ستة عشر ولدا تسعة ذكور وسبع إناث.

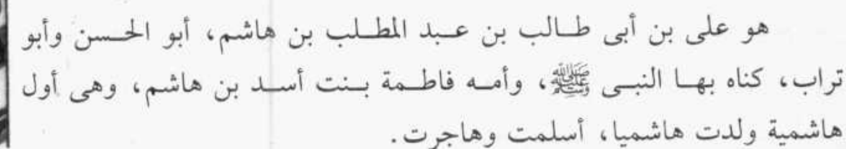




ضريح سيدنا عثمان بن عفان بالبقيع - المدينة المنورة



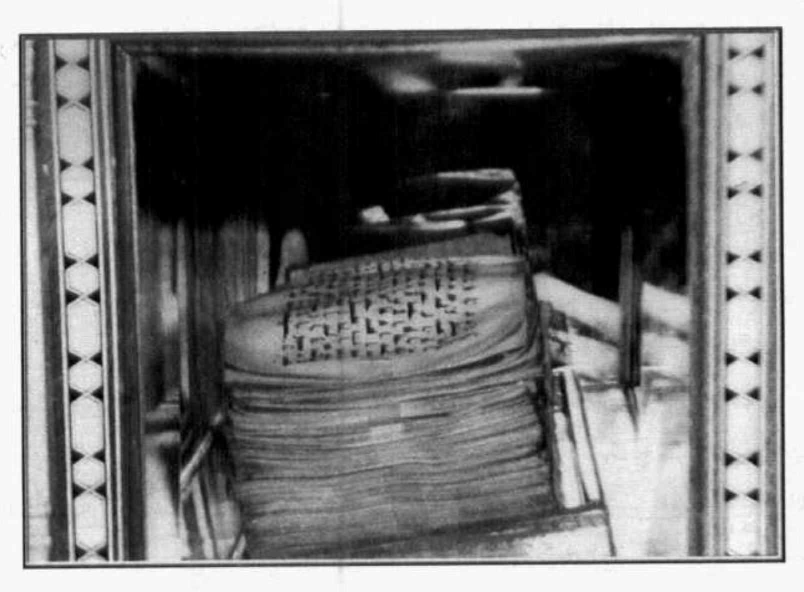




هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن وأبو تراب، كناه بها النبى ﷺ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهى أول هاشمية ولدت هاشميا، أسلمت وهاجرت.

بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وأسلم علىٌّ يوم الثلاثاء، وكان عمره حين أسلم عشر سنين، ولم يعبد الأوثان قط لصغر سنه. تربى فى بيت رسول الله ﷺ ، وزوجه ابنته فاطمة التى أنجب منها ابنيه الحسن والحسين أحفاد رسول الله ﷺ. ولما هاجر إلى المدينة أمره بأن ينام فى فراشه ليلة الهجرة، كما أمره أن يقيم بعده بمكة حتى يؤدى عنه أمانة الودائع والوصايا التى كانت عند النبى ثم يلحق بأهله ففعل ذلك، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد، إلا تبوك فإن النبى استخلفه على المدينة، وله فى جميع المشاهد آثار مشهورة وأعطاه النبى ﷺ اللواء فى مواطن كثيرة.

ولقد كان على شجاعًا، تقيًا، شديدًا فى دين الله، راسخ القدم فى الإيمان، كريمًا سخيًا، زاهدًا، متواضعًا، عادلاً.



مصحف على بن أبى طالب



لما قتل عثمان، هرع الناس إلى عليّ يطلبونه للحكم، وتراكمت عليه الجماعة فى البيعة فبايعه المهاجرون والأنصار، ثم بايعه الناس البيعة العامة، فذلك يوم الجمعة الثالث عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة. ولقد تولى على الخلافة فى أعقاب الفتنة الكبرى وعلى أثر مقتل الخليفة عثمان مظلومًا، ولقد كان قتلته والذين أشعلوا نار الفتنة لا يزالون يرابطون فى المدينة ولم يغادروها إلى أمصارهم حتى يحققوا ما جاءوا من أجله. وما زال المتربصون بالإسلام والمحرضون على الفساد، وعلى رأسهم اليهودى عبد الله بن سبأ، يترصدون للإسلام وللمسلمين. ولقد انقسم الناس آنذاك بين: مطالبين للخليفة الجديد بثأر دم الخليفة المقتول ومتهمين لعدد من الصحابة، وعلى رأسهم الخليفة الجديد، بمسئولية قتل عثمان وعدم قيامهم بالدفاع عنه كما يجب، وحماية من قتلوا الخليفة ظلمًا وعدوانًا وهم على استعداد لقتل كل من يقف أمام أطماعهم، وفريق ثالث اعتزل الفتنة وأغلق باب بيته عليه أو ترك المدينة إلى غيرها من البلاد حتى لا تتلوث أيديهم بدماء ضحايا الفتنة، وكلها دماء أناس مسلمين.

وكان على الخليفة الجديد عليٍّ أن يعالج الموقف بما عهد فيه من حكمة وما شهد به له من حنكة، وكان عليه أن يطفئ نار الفتنة وأن يتخطى رواسبها ليصل بالدولة الجريحة إلى بر الأمان، وإذا كان عليٌّ قد اتهم فى دم عثمان، فإننا نستطيع القول بأنه ليس عليّ وحده هو المتهم فى هذا، ولكن من منطلق هذا الاتهام يكون كل الصحابة متهمين؛ لأنه لا يمكن أن يغلب ألف رجل من الثوار جاءوا من الأمصار لقتل الخليفة أن يغلبوا أربعين ألفا من أهل المدينة إذا هم وضعوا فى اعتبارهم حماية الخليفة من القتل. وإذا افترضنا جدلا أن عليا وطلحة والزبير ومعاوية قد تضافروا على قتل عثمان، فماذا صنع الصحابة من المهاجرين والأنصار بالقعود عن نصرته؟

وفى الحقيقة، فإن المسئول الأول عن دم الخليفة هم دعاة الفتنة والمدبرين لها من أمثال ابن سبأ وأتباعه، ومن بعض رجال القبائل الذين حقدوا على قريش أن تكون السيادة لها على القبائل. والصحابة جميعهم أبرياء من دم الخليفة، فحاشى لله أن يتآمر صحابى على قتل إنسان، وهو يعلم أن قاتل النفس بغير حق مخلد فى النار، فما بالك لو كان هذا الإنسان خليفة المسلمين! لقد كان جميع الصحابة وراء عثمان وكانوا يساندونه وكانوا مستشاريه وأداته فى الحكم وأهل مشورته والمدافعين عنه يوم الدار، وقبل هذا اليوم المشئوم، فكيف يجرؤ مجترئ على اتهامهم بقتل الخليفة؟ لقد ثبت أن الحسن والحسين، ابنا على، وكذلك عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ومروان بن الحكم والصحابى الجليل أبو هريرة، كانوا كلهم يحملون السلاح دفاعا عن الخليفة ويتناوبون حراسة داره، وأن الثوار لم يقتحموا الدار لقتل الخليفة إلا بعد صرفه لهم وإصراره على

ألا يدافع أحـد عنه وطلبه منهم وضع أسـلحتـهم والتزام بيـوتهم. ولم يكن عثمان، وهو الرجل المؤمن بقضـاء الله وصاحب الأيادى البيضاء فى الإسلام، يتصور أن تنتـهى الأمور إلى ما انتهت، وأن يهون على الناس خليـفتهم، وأن يلقى هذه النهـاية الدمـوية على يد الثـوار وهو مـوقن بعـدالة حكمـه ونزاهة شخصه وطهارة عماله.

ولقد بدأ علىٌّ خلافتـه بالعمل على إزالة أسبـاب شكوى الناس، وقد تمثلت فى شكايتهم من ولاة عثمـان، فقام بعزل ولاة عثمان جمـيعهم وتولية غيرهم، وقد قصد بذلك أن يطوى صفحة سابقة بخيرها وشرها، بصدد علاقة هؤلاء الولاة مع رعيتهم فى الأمصار، وفتح صفحة جديدة بتولية ولاة جدد قد يرضى عليهم أهل الأمصار. فقام بعزل أبى موسى الأشعرى عن الكوفـة، وعزل عبد الله بن عامر عن البصرة وعبد الله بن أبى السرح عن مصر، ومعاوية بن أبى سفيان عن الشام. ولم يكن لدى الخليفة، فى عزله هؤلاء الولاة عن ولاياتهم، أى شك فى ذممهم أو فـى سلوكهم، ولكنه أراد التـغيـير حـتى يقطع الطريق على الثوار والمتمردين ويقيم عليهم الحجـة. هذا، ولم يستبد الخليفة برأيه هذا، ولكنه بعد مشورة كبار الصحابة ومن بينهم طلحة والزبير وموافقتهم عليه.

وبينما كان على يتدبر الأمـر فوجئ بتجمع فى مكة بقيادة طلحـة والزبير، يطالب أصحابه الخليفة بالتحـقيق فى مقتل عثمـان وبأخذ الثأر من قاتليه، وقد انضمت لهـذا التجمع أم المؤمنين السيـدة عائشة بنت أبى بكر، التى كانت قـد ذهبت إلى مكة لأداء فريضة الحج وفـراًا من الفتنة. وقد قيل إن بنى أمية هم الذين حرضوا على تدبير هذا التجمع لإحراج علىّ فى بداية خلافته بعد أن عزل ولاتهم عن الأمصار التى كانوا يتولون حكمهـا. وقيل إن المجتمعين تحولوا، بعد ذلك، ومعهم السيدة عائشة من مكة إلى البصرة ليتمـكنوا من قتلة عثمان الذى تجمعوا فى البصرة. ولقد ظنت السيدة عائشة أن فى خروجـها مصلحة للمسلمين، اجتهادًا منها لتـحقيق غاية طلحة والزبير والتعاون مع على من أجل إطفاء نار الفتنة والقضاء على المنافـقين والمفسدين من قتلة عثمان الذين اتخذوا من البصرة قاعدة لهم.

ولقد التف الناس حول الجمل الذى كان عليه هودج السيدة عائشة، لذا عرفت المعركة التى وقعت هنالك بين أنصارها وأنصار على بمعركة الجمل، وقـد انهزم فيها أهل الجمل، وقتل طلحة والزبير.

وبعد انتهاء المعركة جاء علىٌّ إلى أم المؤمنين وقال لها: «غفر الله لك»، فقالت: «ولك، ما أردت إلا الإصلاح»، ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف، وكانت أعظم دار فى البصرة، وزارها بعد

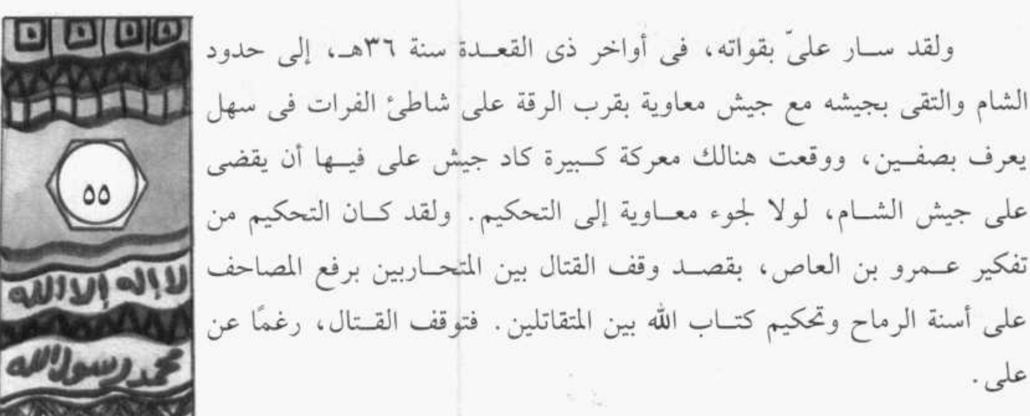
ذلك ورحبت به وجلس عندها وبايعته بالخلافة. ولما أرادت الخروج إلى المدينة بعث لها بكل ما تحتاج له من ركوب وزاد ومتاع، وأرسل معها أربعين امرأة، وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر مكرمة محترمة.

وبعد أن انتصر علىّ فى موقعة الجمل دخل البصرة وصالح أهلها، وبايع له العراق وفارس جميعا، فانتقل إلى الكوفة ودخلها فى ١٢رجب واتخذها عاصمة لخلافته.

ورغم انتصار علىّ فإن خلافته كانت تواجه الكثير من الصعوبات، بسبب بداية الاقتتال بين المسلمين بعضهم وبعض يوم الجمل، مما زاد الحنق فى النفوس والرغبة فى الثأر. كذلك لوجود قتلة عثمان فى جيش على ووجود أنصار عبد الله بن سبأ الميّالين للشر واستمرار الفتن. وأيضا كان فى جيش على كثيرون من رجال القبائل المتأخرة فى دخول الإسلام فلم يكن يهمهم الوقوف إلى جانب الحق بقدر اهتمامهم بما يحقق مصالحهم ويزيد من مكاسبهم.

وكانت الخطوة الثانية أمام الخليفة بعد معركة الجمل، المواجهة مع أهل الشام الذين خرجوا بقيادة معاوية بن أبى سفيان يرفعون قميص عثمان مطالبين بالثأر له من قتلته. هذا، ولم يذكر معاوية وفريقه الخليفة فى أمر البغى على عثمان إلا لمناسبة انضمام قتلة عثمان إلى صفوفه ووقوفهم معه. فهم لم يتهموه بقتل عثمان اتهامًا مباشرًا لأنهم يعلمون أن قتلة عثمان هم الذين أساءوا إلى علىّ كما أساءوا إلى عثمان وإلى الإسلام.



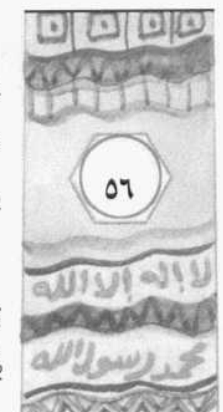


ولقد سار عليّ بقواته، فى أواخر ذى القعدة سنة ٣٦هـ، إلى حدود الشام والتقى بجيشه مع جيش معاوية بقرب الرقة على شاطئ الفرات فى سهل يعرف بصفين، ووقعت هنالك معركة كبيرة كاد جيش على فيها أن يقضى على جيش الشام، لولا لجوء معاوية إلى التحكيم. ولقد كان التحكيم من تفكير عمرو بن العاص، بقصد وقف القتال بين المتحاربين برفع المصاحف على أسنة الرماح وتحكيم كتاب الله بين المتقاتلين. فتوقف القتال، رغمًا عن على.

وقد كتب كتاب التحكيم يوم ١٣ صفر سنة ٣٧هـ، على أن يختار كل فريق من الفريقين المتقاتلين حكما له، وأن يجتمع هذان الحكمان بالناس ويتبينا رأيهم فى أمر الخلافة، ثم يجتمعان سويا ويعلنان رأيهما فى أمر النزاع بين الطرفين بهدف حقن دماء المسلمين. واختار حزب على الصحابى الجليل أبا موسى الأشعرى، واختار حزب معاوية الصحابى الجليل عمرو بن العاص.

ولقد اجتمع الحكمان فى دومة الجندل، جنوب الأردن، فى شهر رمضان ٣٧هـ/ فبراير ٦٥٨م، ولقد روى المغالطون عن حادثة التحكيم أن أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص اتفقا على خلع على ومعاوية فخلعهما أبو موسى أولا واكتفى عمرو بخلع عليّ دون معاوية. وهذه مغالطة لم تحدث، وأصل المغالطة هنا تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة ولا هو ادعى الخلافة، وأنه لم يكن هنالك خليفتان أو أميران للمؤمنين، وأن الاتفاق بين الحكمين كان على خلعهما معا، وأن أبا موسى خلع الخليفتين تنفيذا للاتفاق بينهما وأن عمروًا خلع أحدهما وأبقى الآخر خليفة خلافا للاتفاق وخداعا لأبى موسى، وهذا كله كذب وافتراء.

والذى فعله عمرو هو الذى فعله أبو موسى لا يفترق عنه فى شيء. وقد بقى أمر الإمامة أو الخلافة معلقًا على نظر أعيان الصحابة ليروا فيه رأيهم متى شاءوا وكيف شاءوا. وقد اتفق أبو موسى وعمرو على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين الباقين على قيد الحياة من أعيان صحابة رسول الله ﷺ آنذاك والذين توفى وهو راض عنهم. واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية؛ لأن معاوية لم يكن خليفة آنذاك ولم يقاتل على الخلافة. وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعى على الذين شاركوا فى قتل عثمان. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين اتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم. أما التصرف العملى فى إدارة البلاد فلم يتناوله الحكمان إنما تركا كلا من عليّ ومعاوية يتصرف فى البلاد التى تحت يده.



وبذلك فإن التحكيم لم يقع فيه خداع ولامكر ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة، كما يدعى المغرضون. وكان التحكيم يكون محل المكر والغفلة لو أن عمروًا أعلن فى نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية خلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عمرو ولا ادعاه معاوية.

ولم تبدأ خلافة معاوية إلا بعد صلحه مع الحسن بن على سنة ٤١هـ، بمبايعة الحسن لمعاوية وتنازله عن الخلافة، ومن ذلك اليوم فقط تسمى معاوية بأمير المؤمنين وأصبح خليفة للمسلمين. فعمرو بن العاص لم يغالط أبا موسى الأشعرى ولم يخدعه لأنه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم يقر فى التحكيم غير ما قرره أبو موسى ولم يخرج عما اتفقا عليه معًا. فبقيت العراق والحجاز وتوابعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وبقيت الشام وما تبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل. وتعلق أمر الإمامة والخلافة بما سيكون عليه من اتفاق أعيان الصحابة متى شاءوا وكيف شاءوا ولهم أن يبقوا عليا على الخلافة أو أن يخلعوه عنها ويولوا عليها من يرونه خيرًا منه.

وإذا كانت الخطوة الثانية لم تتم فليس ذلك تقصيرًا من أبى موسى أو نشاطًا من عمرو، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب اقتناعهما وبحسب ما أدى إليه اجتهادهما. وواقع الأمر أن التحكيم بالذات قد رفع منزلة معاوية إلى مقام على، أو حط من مقام على إلى مستوى منزلة معاوية، إذ إن قرار الحكمين قد شكك فى منصب على الفعلى فى حين أنه أقصى معاوية عن ادعاء وهمى لم يكن قد تجاسر على المجاهرة به، والحق أن معاوية لم يجاهر بطلب الخلافة إلا بعد مضى سنين من التحكيم، وكان علىّ آنذاك قد انتقل إلى الدار الآخرة.



الخوارج

ولقد رفضت طائفة القراء من قبائل بكر وتميم وطيئ، التى كانت تقاتل مع جيش على، فكرة التحكيم ونتيجته، برغم أنهم هم الذين دفعوا عليًا لقبولها، واتخذوا من صيحة أحد زعمائهم وهى «لا حكم إلا لله» شعارًا لهم، أى أن حكم الله فى الأمر واضح لا يحتاج إلى هذا التحكيم، وإنه ما كان لعلىّ أن يقبل مثل هذا التحكيم لأنه إمام الأمة وخليفة المسلمين، وطلبوا منه أن يرفض هذا التحكيم وأن يتوب إلى الله. ولما يئس على منهم تركهم فكبُر جمعهم وازدادت

أعدادهم، فظهر فيهم من يؤلبهم على العصيان والثورة. فخاف علىّ أن يتفاقم الأمـر، وخـاصة أنهم اختـاروا من بينهم رجـلاً يدعى «عـبـد الله بن وهب الراسبى»، إمـامًا لهم وسـاروا نحو قـرية قريبـة من الكوفة تسـمى «حروراء» واتخذوها قاعـدة لهم. وقد أطلق المسلمون على هؤلاء الخارجين عن جـماعة على وجيـشه اسم الخوارج، بينمـا أطلقوا هم على أنفسـهم اسم «الحرورية»، نسبـة إلى حروراء عاصمـتهم، و«الشراة»، بقـولهم أنهم اشتروا أنفسـهم بأن باعوها فى سبيل الله.

وقد دخل علىّ فى نقـاش مع هؤلاء الخوارج ومحـاولة التفاهم مـعهم على الرجوع إلى صـفه وصف المقـاتلين فى جيشـه لمواصلة الانتصار علـى جند الشام؛ إلا أنهم رفضوا وأصروا على دعواهم وطالبوا عليًا بإقـرار الخطأ على نفسه لقبوله التحكيم والتوبة إلى الله عما فعل. وقد حاول علىّ التفاهم معهم أكثر من مرة، فرجع إليه جماعة منهم، وبقى نحو أربعة آلاف رجل منهم خارجين.

فلم يكن أمام علىّ سوى مـقاتلة هذه الفئة الخارجة عـن صف المسلمين وعن وحدتهم فى وقت الحرب وفى ظرف يتـحدد فيه مـصير الأمـة الإسلامية فـقاتلهم عند قرية النهـروان، خارج الكوفة، وهزمهـم وقُتل فى المعركة عدد كـبير منهم. فانضـاف إليه عدد منهم بعد الهـزيمة، وفر الباقون هاربين بأفكارهم ومبـادئهم ينشرونها فى البلاد البعيدة عن قبـضة الدولة. وبالفعل نجحت جمـاعة الخوارج هذه فى الانتشـار وفى نشر أفكارها فيـما بعد فى بلاد فارس واليـمن والمغرب، وظهرت جـماعتهم كـفرقة دينيـة وسياسـية لعبت دورا هاما مـنذ ذلك الوقت فى أحداث الدولة الإسلامية، وكان لهـا دور كبير فى إسقاط الدولة الأموية، التى حكمت المسلمـين بعد انتهاء دولة الخلفاء الراشدين.

وبعد انتصار علىّ للخوارج فى النهروان، وعودة من عـاد منهم إلى صفوفه، استنفر رجاله للعودة للقتال والخروج لمقاتلة جند الشام الذين التفوا حول معاوية، والذين ازداد عددهم بمن انضم إليـهم من الهاربين من الخـوارج بعد هزيمـة النهـروان. لكن جند العراق تكاسلوا عـن الخروج، وكانوا قد ملوا القـتال وطول أمده وتشوقوا للعـودة إلى بلادهم وعوائلهم، فتسللت أعداد كـبيرة منهم عائدة إلى العراق، ولم يتبق معه سوى عدد قليل منهم حرص على متابعة القتال معه. وفى الوقت الذى تناقصت فيه أعداد جيش على؛ تزايدت أعداد جيش معاوية وخاصة حين رأى الناس تخاذل أهل العـراق وعدم رغبتـهم فى الاستمرار فـى القتال؛ هذا فضـلا عن سياسة مـعاوية فى ترغيب الناس ووعدهم بالمناصب والأموال لمن ينضم إلى صفه.

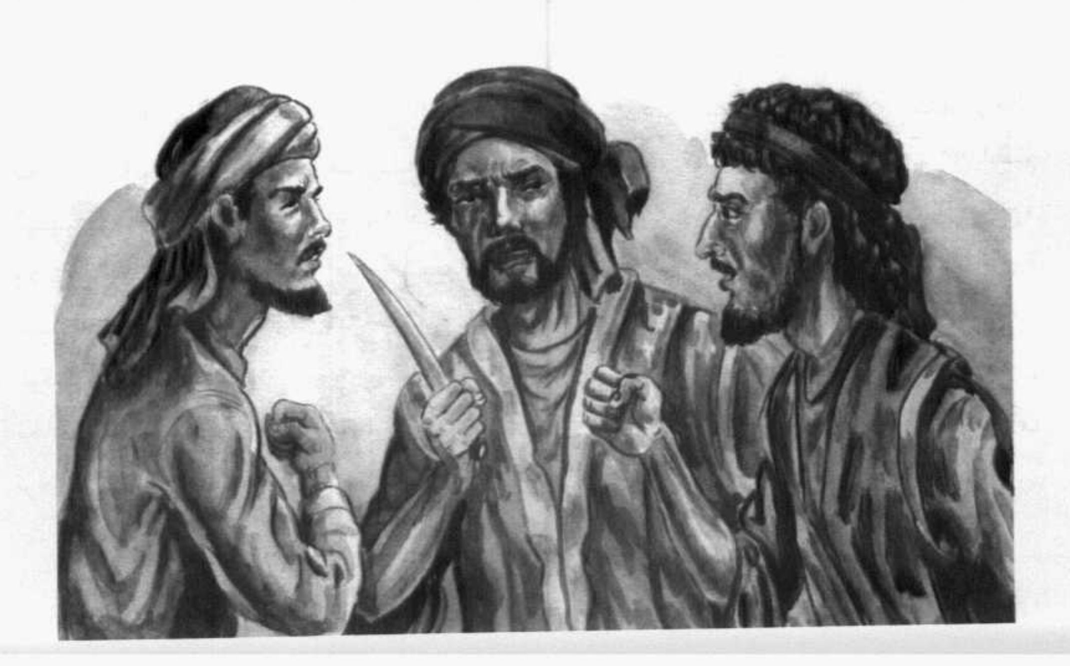




مقتل الخليفة

وبينما كان عليّ يستحث جنده على القتال ويعدهم بالنصر إذا هم واصلوه معه، حدثت مؤامرة الخوارج، التى دبروها للتخلص من على ومعاوية وعمرو بن العاص بالقتل والاغتيال فى ليلة واحدة، وذلك أخذا بثأر قتلاهم يوم النهروان. فاجتمع بمكة ثلاثة منهم: عبد الرحمن بن ملجم المرادى، والبرك بن عبد الله التميمى، وعمرو بن بكر التميمى وتعاهدوا على قتل الثلاثة.

قال الزبير بن بكار: «كان من بقى من الخوارج قد تعاقدوا على قتل على ومعاوية وعمرو ابن العاص، فخرج لذلك ثلاثة، فكان عبد الرحمن بن ملجم هو الذى التزم لهم قتل على، فدخل الكوفة عازما على ذلك واشترى سيفا لذلك بألف درهم وسقاه السم، وكان فى خلال ذلك يأتى عليا يسأله فيتحمله، إلى أن وقعت عينه على قطام، وهى امرأة رائعة الجمال ترى رأى الخوارج، وكان على قد قتل أباها وإخوتها بالنهروان، فخطبها ابن ملجم لنفسه، فقالت له: أنا لا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه، فقال: ما هو؟ قالت: ثلاثة آلاف دينار وقتل عليّ. قال: والله لقد قصدت قتل على والفتك به وما أقدمنى هذا المصر غير ذلك، ولكنى لما رأيتك آثرت تزويجك. فقالت: إلا الذى قلت لك. قال: وما يغنيك أو يغنينى من قتل عليّ وأنا أعلم إن قتلت عليا لم أفت؟ فقالت: إن قتلته ونجوت فهو الذى أردت فتبلغ شفاء نفسى ويهنيك العيش





معى، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. فقال لها: لك ما اشترطت فقالت له: سألتمس لك من يشد ظهرك، فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد، فأجابها، ولقى ابن ملجم شبيب بن بحرة الأشجعى فقال له: يا شبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هو؟ قال: تساعدنى على قتل على بن أبى طالب. قال: ثكلتك أمك لقد جئت شيئا إدًا، كيف تقدر على ذلك؟ قال: إنه رجل لا حرس له، ويخرج إلى المسجد منفردا دون من يحرسه، فنكمن له فى المسجد فإذا خرج إلى الصلاة قتلناه فإذا نجونا نجونا وإن قتلنا سعدنا بالذكر فى الدنيا والجنة فى الآخرة. فقال: ويلك، إن عليا ذو سابقة فى الإسلام مع النبى ﷺ والله ما تنشرح نفسى لقتله. قال: ويلك إنه حكَّم الرجال فى دين الله عز وجل وقتل إخواننا الصالحين فنقتله ببعض من قتل ولا تشكن فى دينك، فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قطام وهى معتكفة فى المسجد الأعظم فى قبة ضربتها لنفسها فدعت لهما، وأحدوا أسيافهم، وجلسوا قبالة السدة التى يخرج منها علىّ، فخرج علىّ إلى صلاة الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطأه وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف وهو يقول: الحكم لله يا علىّ لا لك ولا لأصحابك. فقال علىّ: لا يفوتكم وهذا الكلب. فشد الناس عليه من كل جانب ليأخذوه، وهرب شبيب خارجا من باب كندة، فلما أخذ قال على: احبسوه فإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به، وإن لم أمت فالأمر إلىَّ فى العفو والقصاص».

ولقد تمت عملية القتل صبيحة يوم السابع عشر من رمضان، صبيحة يوم بدر سنة ٤٠ للهجرة. وفى الوقت الذى تعرض فيه على للقتل كانت هنالك محاولتان قد قام بهما الخوارج لقتل معاوية وعمرو بن العاص، لكن هاتين المحاولتين قد فشلتا ونجا منهما كل من معاوية وابن العاص؛ ذلك لأن الذى ذهب لقتل معاوية لم يتمكن منه حين ضربه بالسيف فأصاب السيف فخذه وهرب دون أن يكمل عليه فنجا بذلك معاوية من الموت. وأما الذى ذهب لاغتيال عمرو، فذهب إليه وضرب بالسيف من كان يؤم الناس فى الصلاة ظنًا منه أنه ابن العاص، ولكن عمروا فى هذه الليلة كان قد تغيب عن الصلاة فى المسجد لمرضه فناب عنه فى الصلاة بالناس مقدم شرطته خارجة بن حذافة السهمى، فضربه الخارجى عمرو بن بكر التميمى بسيفه فقتله، وهو يظن أنه قتل عمروا. وقيل إن عمروا حين سمع بالخبر حمد الله على نجاته وقال عبارته المشهورة التى صارت من بعد ذلك مثلاً من أمثال العرب وهى: «أرادنى وأراد الله خارجة».

ولقد اختلف فى سن على يوم مات، والأرجح أن سنه يوم موته كان خمسا وستين، صحب منها النبى بمكة ١٣ سنة وعمره إذ ذاك ١٢سنة، ثم هاجر فصحبه بالمدينة عشر سنين وعاش بعده ثلاثين سنة.

وقد كان له من الولد ١٤ذكرا، و١٨أنثى، وأهم أولاده من السيدة فاطمة، أحفاد رسول الله ﷺ هما الحسن والحسين، وأهم بناته أم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى شقيقتا الحسن والحسين.

ولقد دفن عليٌّ أول ليلة من العشر الأواخر من رمضان، واختلف فى موضع قبره، فقيل دفن فى قصر الإمارة بالكوفة، وقيل دفن فى رحبة الكوفة، وقيل دفن فى النجف فى موضع بطريق الحيرة.

وهكذا انتهت حياة آخر الخلفاء الراشدين بالقتل، لأنه لم يتخذ لنفسه الحيطة بعدما حدث مع صاحبيه عمر وعثمان بأن يتخذ له حرسًا يحميه من تآمر المتآمرين، ولكن هذه إرادة الله وقدره، فقد قدَّر سبحانه أن يموت ثلاثة من الخلفاء الراشدين شهداء بأيدى الغدر دون عمل حساب لمكانتهم ودرجاتهم العالية فى الإسلام ومنزلتهم عند رسول الله ﷺ .

وقد كان علىّ رجلا صادقًا مؤمنًا واثقًا فى نفسه وفى ربه، وكان شجاعًا لايعرف الخوف، ولم يهزم فى معركة واحدة، ولا بارز أحداً إلا غلبه، وكان الرسول ﷺ قد أهداه سيفًا أسماه «ذا الفقار»، كان علىّ يقاتل به ويحصد به رقاب أعداء الإسلام حتى أن الناس قالوا عن ذلك: «ذو الفقار بألف سيف وعلى بألف رجل، فعلى وذو الفقار معا بألف ألف رجل»

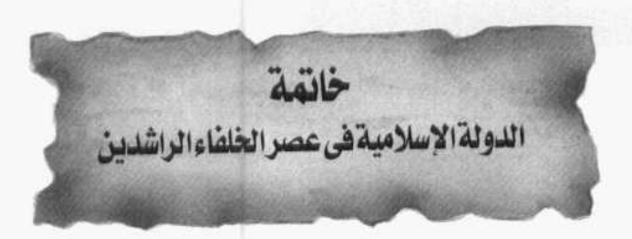
وقد كان إلى جانب ذلك من أبلغ الناس منطقًا وأوفرهم حكمة، وكان مستودعا للعلوم، وخطبه تمثل البلاغة العربية بعينها، وقد كان يلى رسول الله ﷺ فى بلاغته؛ إذ كان عليه الصلاة والسلام أبلغ الناس، ولقد ورد عنه أنه لما ضربه ابن ملجم، دخل عليه الحسن ابنه وهو باك فقال له على: «يا بنى احفظ عنى أربعا وأربعا»، قال: «وما هن يا أبت» قال: «أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق»، قال: «فالأربع الأخر؟» قال: «إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه».

ومن أقواله رضى الله عنه: «خمس خذوهن عنى : لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه، ولايرجو إلا ربه، ولا يستحى من لايعلم أن يتعلم، ولا يستحى من لايعلم إذا سئل عما لايعلم أن يقول: الله أعلم، وإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان وإذا ذهب الرأس ذهب الجسد».



ولما قتل على ذهب إليه جماعة من المسلمين، كانوا قريبين منه، وقالوا له: «استخلف علينا»، فقال: «لا، ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله فسيجمعكم بعدى على خيركم كما جمعكم بعد نبيكم على خيركم». فلما مات عقد الناس بالبيعة من بعده لابنه الحسن بن على، وهم يرون أنه أحق بالخلافة من معاوية ومن كثيرين غيره، وكان الحسن قد خرج للقضاء على الفئة الباغية التى عارضت خلافة أبيه لإدخالها فى طاعة الدولة، لكنه لم يستمر فى ذلك ورأى ضرورة حقن دماء المسلمين ووقف نزيف دم المسلمين وإخماد هذه الفتنة التى اشتعلت نيرانها فى أواخر خلافة عثمان.. ولقد رأى أن ذلك لن يتم إلا بتنازله عن حقه فى الخلافة والمصالحة مع معاوية، وكان معاوية قد أرسل للحسن من يتوسط لإنهاء الحرب ووقف اقتتال المسلمين مع بعضهم البعض. وقد جاء رجلان إلى الحسن من طرف معاوية من بنى عبد شمس، وهما عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز يتوسطان فى الصلح، وانتهت الوساطة بالمصالحة وتنازل الحسن لمعاوية عن مطالبته بحقه فى الخلافة. وقد تم عقد البيعة مع الحسن لمعاوية فى موضع يقال له «مسكن» على نهر دجيل، فى ربيع الأول سنة ٤١ للهجرة، فسمى ذلك العام بعام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه بعد الفرقة.

ولقد دخل معاوية، بعد ذلك، وأعوانه الكوفة فبايعه أهلها وبايعه بقية المسلمين فى كافة الأمصار بالخلافة. وبتولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة ينتهى عهد خلافة الخلفاء الراشدين ويبدأ عهد جديد هو عهد الخلافة الأموية، وهو عهد استمر فى الحكم مدة ٩١ عاما، انتهى بسقوطه على يد العباسيين سنة ١٣٢ للهجرة.



استغرق عصر الخلفاء الراشدين فى مجموعه نحو ثلاثين سنة هجرية، فقد بدأ فى أوائل سنة ١١ وانتهى فى رمضان سنة ٤٠ للهجرة، ولكن هذه الفترة القصيرة تعد القاعدة الأساسية للحكم الإسلامى الأمثل والركائز الأولى للدولة العربية الإسلامية، وذلك لما يلى:

أولا ـ أنه عصر صحابة رسول الله ﷺ الذين عاشوا معه والذين صحبوه ورأوه وسمعوا منه وأخذوا عنه وتأدبوا بأدبه وأخذوا بأحاديثه وساروا على نهجه فكانوا مصابيح الهداية للأمة



الإسلامية من بعده. وقد عـاش الناس فى عصر الخلفاء الراشدين على هدى الصحابة، وقـد أظلتهم صحبتـهم لرسول الله ﷺ ، فغلب على الناس وازع الدين ومراعاة أوامر الإسلام والالتزام بما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

ولذلك يعتبر هذا العصر عصر تطبيق الإسلام الصحيح، وما زال عصر عمـر بالذات، هو المثل الأعلى الذى يسـعى كل حكم إسلامى إلى الـوصول إليه.

ثانيا ـ كان عصـر الخلفاء الراشدين هو عصر الفـتوح الكبرى وتكوين الدولة العربية الإسلامية الكبرى التى امـتدت حدودها من حدود الصين شرقا إلى حدود المحيط الأطلسى غربا، ومن غانة جنوبا إلى فرغانة شمالا. ولقد فتح الراشدون الطريق أمام خلفاء الأمويين من بعـدهم إلى استكمال الفتوح واستحواذ مـعظم بلدان قارات العالم القديم آنذاك، كذلك شهد هذا العصر، مع الفتح، انتشار الإسلام وكثرة معتنقيه وتحول معاقل للمسيحية والمجوسية إليه بعد أن أدركت شعوبهم أنه الدين الحق وأنه آخر رسالات الوحدانية من السماء إلى الأرض.



قرآن عثمان بن عفان – الذى كان يقرأ فيه عند استشهاده مصر – المشهد الحسينى

كـذلك هو العصـر الذى جـمع فيـه القـرآن فى مصـحف واحـد، هو مصـحف عثمان، وهو الباقى إلى اليوم أساسًا لكل ما هو على الأرض من مصـاحف بعد أن تولى الله حفظه؛ تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴿٩﴾﴾ [الحجر].

ثالثا ـ كان هذا العصر عـصر انتصار العروبة والعـربية، فلقد كـان النبى والخلفاء من بعده عربًـا، وقد أعلى الإسلام العروبة والعـربية بنزول القرآن بلسان العـرب، وقد كان درس قواعد اللغة العربية من المهام الفكرية الأولى التي اضطلع بها العرب فى عصر الراشدين، وكان قد دعا إلى ذلك حـاجة الداخلين الجدد فى الإسـلام من شعوب الأمصـار إلى تعلمها والحـديث بها ورغبتهم فى قراءة القرآن وفهمه، وفهم ماوضع بصدده من شروح وتفاسير بالعربية. كذلك لحرص هؤلاء الشعوب على تقلد الوظائف الحكومية التى اقتصرت على من يجيد العربية قراءة وكتابة.

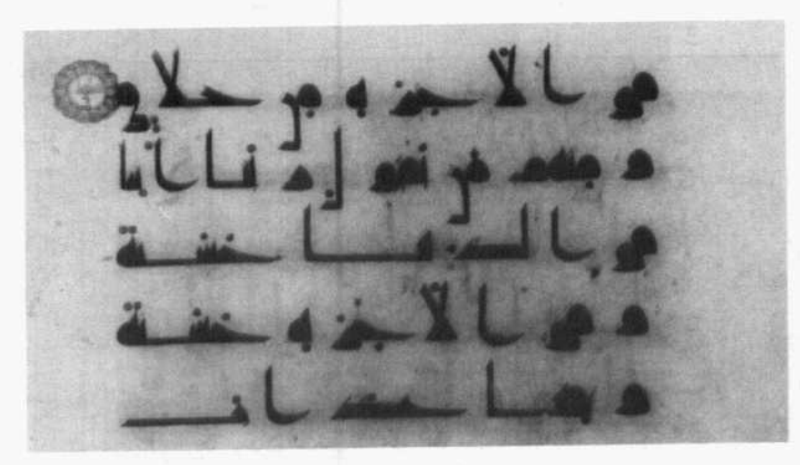


ولقد قيل إن أول من اهتم بوضع قواعـد اللغة العربية هو على بن أبى طالب، وقد نحى بعد ذلك نحوه أبو الأسود الدؤلى واضع قواعد اللغة العربية على نحو على بن أبى طالب، ومن أجل ذلك سمى ذلك العلم بالنحو.

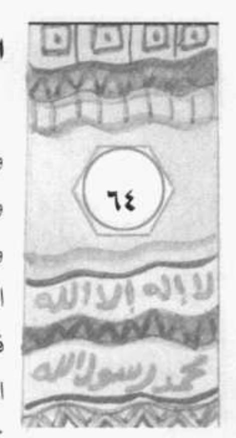


صفحة قرآن حسب طريقة - أبو الأسود الدؤلى - أبو النحو

رابعا ـ كـان هذا العصـر الذى وضعت فـيه أسس نظـم الدولة، وقد شـملت هذه النظم السياسة والإدارة، والاقتصاد والاجتماع، وكل مايتصل بأمور هذه الدولة ويحقق آمال شعوبها.



صفحة من القرآن الكريم - كوفى منقط



النظام السياسى:

ففى النظام السياسى، أسس الرسول ﷺ دولة الإسلام فى المدينة، وقام الخلفاء من بعده بالمحافظة على هذه الدولة والعمل على صيانتها وحمايتها ورعاية رعاياها وتوسيع حدودها. وكان دستور هذه الدولة القرآن والسنة والشورى والاجتهاد والقياس، وقد كان الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدون قد قاموا بوظيفة رئيس الحكومة المدنى ورئاسة سلطتها التنفيذية فضلا عن قيادتهم للجيوش. وكانت تولية الخلفاء الراشدين، كما رأينا، انتخابية شورية، وكانت البيعة الخاصة تتم للخليفة عند تولّيه الخلافة، ثم تؤخذ له البيعة العامة من كافة المسلمين فى مسجد العاصمة الجامع ثم فى سائر مساجد الأمصار على أنه رئيسهم الذى ينظر فى أمورهم ويتولى زمام أمرهم. وكان مقر الخليفة فى عاصمة الدولة، وتحول لذلك هذا المقر من المدينة فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان إلى الكوفة فى عهد على، ثم إلى دمشق وبغداد فى عهد الأمويين والعباسيين.

ولقد ظهرت الفرق الدينية السياسية فى خلافة على، فظهر: الخوارج والشيعة، ثم المرجئة والمعتزلة. وكان لكل فرقة من هذه الفرق رأى فى مسألة الخلافة وفى تولى الحكم، وقد ازداد خطر هذه الفرق عند نهاية عصر الراشدين وبداية قيام الدولة الأموية.

السلطة التنفيذية:

ولقد تكونت السلطة التنفيذية فى الحكومة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين من الخليفة، وهو رأس الدولة، ومجلس من أهل الشورى من كبار الصحابة، كان هذا المجلس يعقد فى المسجد الجامع ويتشاور رجاله مع الخليفة فى أمور المسلمين العامة. وقد كان بعض رجال الصحابة يقومون بعمل الوزراء للخلفاء، دون أن يتلقبوا بلقب وزراء، فقد كان عمر وزيرا لأبى بكر، وكذلك على وعثمان كانوا وزراء لعمر. وكان مروان بن الحكم بمثابة الوزير للخليفة عثمان.

إدارة الولايات:

وبالنسبة لإدارة الولايات زمن الراشدين، نجد أبا بكر، حين تولى الخلافة، يقر عمال الرسول ﷺ على ولاياتهم وأعمالهم، وكانت رقعة الدولة أيام خلافته، القصيرة العمر، لم تتجاوز حدود جزيرة العرب، ولما اتسعت الدولة فى عهد عمر قام عمر بتقسيمها إلى أقسام إدارية كبرى: وهى ولايات الحجاز ونجد وشبه الجزيرة وولايات فارس والعراق وولايات بلاد ما وراء النهر، وولايات الشام، وولايات مصر والمغرب. وقد جعل عمر على كل ولاية واليًا، تشدد فى اختياره، كما جعل إلى جانب كل وال فى ولايته عاملاً للخراج، مسئولاً عن الأمور المالية ومستقلا فى إدارته عن الوالى، وكان عمر فى كل موسم حج يذهب إلى الحج ويجتمع هنالك مع

ولاته وعمال خراجه ويقوم بمحاسبتهم أشد الحساب، ومن يجد منه تقصيراً كان لايتردد فى عزله على الفور واستبداله بمن هو أصلح منه.

النظام الإدارى:

أما عن النظام الإدارى فى عهد دولة الراشدين، فقد تقسمت الإدارة، داخل العاصمة المركزية للدولة، إلى ماعرف بالدواوين، وهى تقابل الآن الوزارات والمصالح الحكومية التى تتولى إدارة شئون الدولة فى الداخل والخارج. والخليفة عمر هو أول من أنشأ الدواوين فى الدولة الإسلامية، نقلاً عن الفرس، وذلك بسبب اتساع الدولة فى عهده وكثرة مواردها والحاجة لضبط هذه الموارد والاستفادة منها. فأنشأ ديوان العطاء وديوان الجند، وقد كانت هذه الدواوين نواة لما استجد بعد ذلك من دواوين فى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية.

نظام الشرطة:

كذلك عرفت دولة الراشدين نظام الشرطة، ويقال: إن أول من شرط الشرطة فى الإسلام هو عمرو بن العاص أثناء ولايته لمصر للمرة الأولى فى عهد خلافة عمر بن الخطاب. ولقد كان الخليفة عمر يقوم بنفسه بالعسس ليلا ليتفقد أحوال رعيته، والعسس هو أصل نظام الشرطة. وأيضا ظهرت السجون فى الدولة الإسلامية فى عهد خلافة عمر.

القضاء:

ولقد تولى الخلفاء الراشدون أمر القضاء اقتداء برسول الله ﷺ فى هذا المجال. وقد طبق الخليفة عمر النظام القضائى على نطاق العالم الإسلامى فعين قضاة ينوبون عنه في الفصل بين الناس وحل مشاكلهم، فولى أبا الدرداء قضاء الكوفة، وولى عثمان بن قيس بن أبى العاص قضاء مصر، وولى أبا موسى الأشعرى قضاء البصرة، وكتب له كتابًا يعتبر دستوراً للقضاء الإسلامى حتى الآن، وقد كان القضاء، فى عهد الراشدين، مستقلاً محترم الجانب، وكان الخلفاء يتشددون فى اختيار القضاة من الرجال الذين عرفوا بالعلم والحزم والعدالة والنزاهة والفهم ولم يكن للقاضى كاتب أو سجل تدوّن فيه الأحكام؛ إذ لم يكونوا فى حاجة لذلك لأن الأحكام كانت فورية التنفيذ.

وكان القاضى يجلس للقضاء فى المسجد بعد الصلاة. ولم يكن القضاة يتقاضون أجرًا أول الأمر، لكن الخليفة عمر جعل لهم أجورًا حتى يتفرغوا للقضاء وحتى لا ينظروا إلى ما بأيدى الناس، ولم يتأثر القضاة فى عهد الراشدين بميول الحكام ولم يخشوا سطوتهم، كذلك كان الخلفاء لايتدخلون فى أمر القضاء، وقد كانت كلمة القضاة نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج والخلفاء أنفسهم وآل بيتهم.



وبالنسبة لأهل الذمة فلقد كان القاضى يقضى لهم على عتبة المسجد بعد صلاة العصر، ولقد كان الذميون يتقاضون وفق شرائعهم فى قضايا الملة والميراث، أما فى القضايا الجنائية فكانوا يتقاضون أمام المحاكم الإسلامية.

الجيش:

ولقد كان الخليفة هو القائد الأعلى للجيش، وهو الذى يعلن الحرب ويوقع معاهدات السلم، وهو أيضا الذى يضع خطط القتال ويعين القواد على الجيوش، وقد كان الذهاب للقتال فى عهد الرسول ﷺ وأبى بكر أمرا تطوعيًا، لكن الخليفة عمر هو أول من جعل الجندية فئة مخصوصة متفرغة للقتال، وجعل لها أعطيات ثابتة تصرف لهم ولعوائلهم تثبت فى ديوان الجند حتى يتفرغوا نهائيا للحرب والقتال.

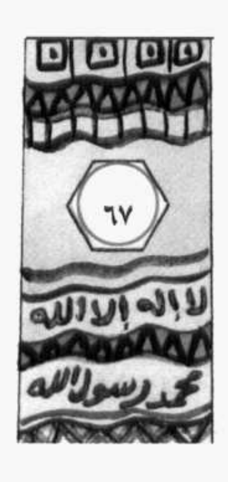

عُملة ساسانية - دُق عليها «بسم الله» - الصمد

وإلى عمر يرجع الفضل فى إقامة الحصون والمعسكرات الطويلة الدائمة لراحة الجنود فى أثناء الطريق، بعد أن كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الإبل دون حصولهم على الراحة إلا فى أكواخ صنعت من سعف النخيل، وبعد ذلك بنيت العواصم فى الثغور وأقيمت الحصون والقلاع لصد هجمات الأعداء المباغتة.

كذلك اهتم عمر بن الخطاب ببناء المدن العسكرية الجديدة فى الأمصار المفتوحة، مثل الفسطاط والقيروان. واتخاذ هذه المدن كحواضر جديدة بدلاً من الحواضر التى كانت فى البلدان المفتوحة.

هذا، ولقد اهتم الخلفاء الراشدون، وخاصة الخليفة عمر، بالحياة الاقتصادية فى ولايات الدولة المختلفة وعمل على مايكفل النهوض بزراعتها وصناعتها وتجارتها؛ الأمر الذى أدى إلى زيادة موارد الدولة وانعكاس ذلك على حالة الرخاء الاجتماعى الذى عمت الدولة فى عهد الراشدين. الأمر الذى جعل عمر بن الخطاب يقرر عطاء ثابتًا فى ديوان العطاء لعموم المسلمين. كذلك لازدهار الحياة الثقافية والاهتمام بمعاهد العلم فى العواصم الإسلامية من كتاتيب ومدارس.

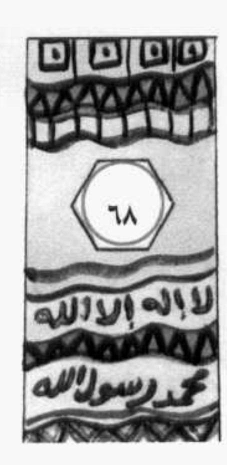
ومن أشهر المساجد التى بنيت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، مسجد الكوفة الكبير بالكوفة، ثم مسجد عمرو بن العاص، الذى بنى فى مصر عند فتحها، وعرف بجامع عمرو أو الجامع العتيق.





- ابن الأثير: أُسد الغابة في معرفة الصحابة، بولاق ١٢٧٤هـ
- الأزرقي: أخبار مكة، طبعة جوتنجن ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٨م.
- البلاذري: فتوح البلدان، القاهرة ١٣١٨هـ.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ليدن ١٣٢٢هـ.
- السيوطي: تاريخ الخلفاء، مصر ١٣٥١هـ.
- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، القاهرة ١٣٢٦هـ.
- الطبري (المحب): الرياض النضرة في مناقب العشرة، مصر ١٩٥٣.
- ابن الطقطقي (ابن طباطبا): الفخري في الآداب السلطانية، بيروت (د.ت).
- ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، القاهرة ١٩١٤.
- عطية القوصي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية، القاهرة ١٩٩٤.
- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق ١٢٧٠هـ.





الموضوع	الصفحة



This book covers one of the most important chapters in Islamic History, the Age of the Rightly Guided Caliphs, which extended from 11 to 41H.

After the death of the prophet " Peace be upon him", the four Rightly Guided Caliphs, Abu Baker, Omar, Osman, and Ali Ibn Abby Taleb " May God be pleased with them all", followed the steps of the Prophet in spreading the word of God East & West.

The Main issue that appeared after the death of the Prophet was the issue of succession, in order to elect the right Caliph who could lead the Umma, and spread Islam amongst all the people of the earth, for Islam is a Universal Message not restricted by any means to the Arabs alone.

It should be pin pointed that the choice of the Caliph was based on the principle of "Shura"Consultation), and thus the four Rightly Guided Caliphs were chosen in order to lead the whole Umma into the right Path.

These Competent Caliphs succeeded in putting an end to the "Apostaty", and the Great " Dissention", and pursued the Islamic Jihad, and conquest.

Equally important is the fact that during that age, the Islamic State extended from China in the Far East into Spain in the West, and thus Islamic Civilization helped Europe to step forward from darkness into enlightenment.

Dr. Attia El - Qossi



History is the most esteemed branch of human knowledge, thus a historian should abide by the virtue of objectivity, foresight and the readiness to learn from the lessons of the past in order to confront present and future challenges.

History is not a kind of tell-tale, rather it is the morale lying behind events and happenings. History again has a wonderful trait which is "continuum" from the past to the present, and ventures of the future.

Episodes of history are transformed from one generation to the other via the narrative which preserves the accomplishments of each and every historical epoch.

However, history does not in any way repeat itself, for every day there is something new and dynamic in our globe. It is true that the stage for events remains the same, but seasons change and the human being himself does change, socially and culturally as well.

In view of all these considerations, Dar El-Fikr-EL-Arabi, founded by Mr. Mohamed Mahmoud El Khodari, has taken on itself to foster this colossal project of a historical serial involving past, present, and contemporary records from a universal approach.

It is noteworthy that the authors of this serial are from the elite of the Egyptian historians.

We sincerely hope that the recipient will enjoy reading the volumes of this serial for which Dar- El-Fikr has devoted all its efforts and technologies to produce it in this colorful format.

Dr. Said Abdel Fattah Asshour

CONSULTATIVE COMMITTEE FOR:
THE ENCYCLOPAEDIA OF HISTORY, ARCHAEOLOGY AND CIVILIZATION

Correspondence & Communications:

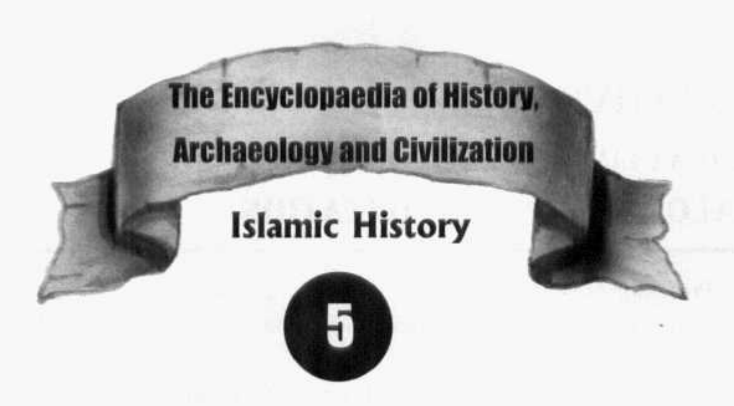
Dar El-Fikr El - Arabi

The Encyclopaedia of History, Archaeology and Civilization

94 Abbas Al-Akkad St., Nasr City - Cairo - Egypt

Tel.: 2752984 Fax: 2752735

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com



The Age of the Rightly Guided Caliphs



Dr. Attia El - Qossi

Publisher
Dar Al-Fikr Al-Arabi
94 Abbas El - Akkad St. Naser City - Cairo
tel : 2752794 . Fax : 2752735
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com